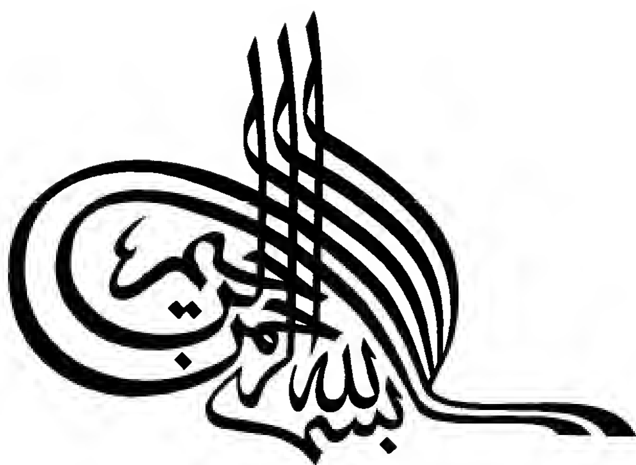
الرحلات الهندية:

نظرات في شمال الهند

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الجزء الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخـــل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مـــع المســـلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٥) جمهوريـــة أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بيـــن الأرغـــواي والـــبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكـــريات مـــن يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) فـــي جـــنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظـرة إلـى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصـى جـزر المحـيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقلـيما سـمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) فـي إندونيسـيا أكـبر بـلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قريـنادا وسانتالوسـيا ودومنـيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياضن عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مـع العمـل الإسـلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) فـي جـنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شـمال شـرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية).

(٩٩) من غينيا الإستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية.

(١٠٠) نظرات في شمال الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) (وهو هذا الكتاب).

(١٠١) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٠٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٠٣) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٥) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٦) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٠٧) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٨) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٠٩) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٠) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١١١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٢) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١١٦) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١١٧) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(١١٨) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٩) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

(١٢٠) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٢١) الدعــوة الإســلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٢) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٣) فــي لغتــنا الدارجــة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٤) حكايــات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٢٥) أثــر الأقلــيات المســلمة فــي الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٢٦) الكــناية والمجــاز فــي اللغــة العامــية، نشــرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٢٧) أماكــن قديمــة العمــارة فــي القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

مقدمة:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الذي دعا إلى الحق المبين وعلى سائر الهداة المخلصين للدين الحق المبين السابقين منهم واللاحقين.

أما بعد: فإن هذا الكتاب يتحدث عن مواضع في شمال الهند زرت بعضها زيارة مقصودة لذاتها، وزرت بعضها مروراً في الطريق إلى مناطق أخرى في الهند، وكنت أزمعت أول الأمر أن أجعل جميع ما أكتبه في الرحلات عن الهند كتاباً واحداً، ولكنني وجدت أنها كثرت بحيث لا يحتملها كتاب واحد، بل إن بعضها أصبح كتابين بعد أن كان كتاباً واحداً وهذه الكتب هي.

(نظرات في شمال الهند) وهو هذا الكتاب.

(في الشمال الشرقي من الهند) وهو مطبوع.

(وسط الهند) لا يزال مخطوطاً.

(جنوب الهند) وهو مطبوع.

(غرب الهند) وهو مطبوع.

(راجستان بلاد الملوك) وهو مطبوع.

(الاعتبار في السفر إلى مليبار) وهو مطبوع.

(في الشمال الغربي من الهند) لا يزال مخطوطاً.

(شرق الهند) وهو مطبوع.

(سياحة إلى كشمير) وهو مطبوع.

(على أعتاب الهملايا) ولا يزال مخطوطاً.

(مقال في بلاد البنغال) وهو مطبوع.

فهذه اثنا عشر كتاباً عن بلاد الهند، وفيما يتعلق ببلاد أخرى كان الأقدمون يعدونها من الهند وإن لم تكن منها الآن مثل سيلان التي كان أسلافنا الأقدمون يسمونها (سرنديب)، بمعنى جزيرة الياقوت، ثم صاروا يسمونها (سيلان) وجاء المتأخرون من أهلها فأسموها (سيريلانكا).

ومثل نيبال التي تقع ملاصقة لشمال الهند، ولكل من القطرين كتاب مطبوع.

أما كتب الهند فإن بعضها بقي مخطوطاً لأنني صرت أسارع إلى طباعة كتبي التي تتحدث عن بلاد بعيدة، معتبراً أن الهند جار لنا قريب، وإن بعض بني قومنا يعرفون بعض ما فيه من أمور، وإن كنت أعتقد أن أكثرهم لا يعرفون أكثر ما في الهند، وبخاصة ما يتعلق بنشاط الإخوة المسلمين في إقامة المؤسسات الإسلامية، وفي بناء المساجد، وافتتاح المدارس والمعاهد الإسلامية، بل الحرص على أمور دينهم أكثر مما يحرص عليه إخوان لهم في الدين في بلاد أخرى.

ولقد هيأ الله لبلادنا قادة يسعون إلى مساعدة الإخوة المسلمين في الهند مثلما يسعون إلى مساعدة غيرهم من المسلمين على أمور دينهم، فكان لرابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد نصيب كبير من تنفيذ تلك السياسة التي تتعلق بالتعاون مع الإخوة المسلمين في الهند على البر والتقوى من دون ابتغاء أي نفع سياسي أو إعلامي، أو حتى انتظار شكر أو تقدير من وراء ذلك، لأنه عمل قصد به أن يكون خالصاً لوجه الله.

ولكن الإخوة الكرام من مسلمي الهند أبوا إلاّ أن يبادروا بالشكر والدعاء بالأجر لمن تعاون معهم، أو عاون على عملهم فكانوا يحسنون استقبالنا، ويحققون

آمالـــنا فـــي أن يقدموا ما يستطيعون من عمل صالح من غير انتظار لإحسان من أحـــد ولا اعـــتماد على بشر، فكان هذا داعياً لزيادة الاتصال والتعاون حتى لم تبق مديـــنة من المدن أو مركز من المراكز في الهند، فضلاً عن الولايات إلاّ وفيها أثر مـــن آثار التعاون بين الجهات العاملة في العلاقات مع الإخوة المسلمين من المملكة العربـــية السعودية، وذلك في المساعدة على مسجد يشاد، أو مدرسة تقام أو جمعية إسلامية تدعم، أو مشروع خيري اجتماعي يُسيَّر.

وكـــان لـــي نصـــيب وأيٌّ نصـــيب من إيصال الخير من بلاد الحرمين إلى أولـــئك الأخوة الأدنين، حتى زرت ولايات الهند من أقصى الشمال في كشمير إلى أقصـــى الجـــنوب في كيرلا، و (تامل نادو) وفي شرقيها من ولاية أوريسا وغرب البنغال، إلى غربها في ولايات (مهاراسترا) وكجرات وراجستان.

وفـــي كل هذه الولايات وغيرها كنت أينما حللت أقيد ما رأيته أو سمعته مما يـــتعلق بما رأيته، وأكثر القول فيما يتعلق بالإخوة المسلمين ومؤسساتهم كما قيدت ما لاحظته من أمور عامة في البلاد تتعلق بالأقوام الأخرى في الهند.

إن الإخـــوة المســـلمين في الهند يزيد عددهم الآن على مائة مليون نسمة، وهم أكبر أقلية مسلمة في العالم ولكنهم مع ذلك كانوا ولا يزالون يعانون من الأكثرية الهندوكية التي يربو عددها على ثمانمائة مليون، إذْ نشأت ناشئة منهم طورت التعصب ضد المسلمين الذي كان موجوداً في السابق في بعض الصدور، أو كان محصوراً في بعض السطور، فحولته إلـــى مـــبادئ أحزاب سياسية، وجمعيات اجتماعية، وصارت تغذي ذلك التعصب وتنشر المفتريات حول ما فعله المسلمون بالهنادكة عندما كانوا يحكمونهم في تاريخهم القديم، ناسين أو متناسين أن المسلمين حكموا الهند أو أكثر أجزائه قرابة ثمانمائة سنة، ولو كانوا يريدون أن يبيدوا الهنادكة

لفعلوا من دون أن تنتطح فيها عنزان، ومن دون أن يشعر بذلك أحد من العالم في تلك العهود، لأن إبادة الخصوم هو من الأمر المفهوم، في تلك العصـــور، ولكـــون وسائل الاتصال بين الشعوب كانت معدومة، فكانت الوقائع العظمى الداخلية غير مفهومة إلاّ للأقربين من أهل ذلك البلد.

كما أن المسلمين لو كانوا يريدون أن يحولوا الهنادكة عن دينهم إلى الدين الإسلامي قسراً وجبراً لفعلوا ذلك في تلك الدهور التي كانت تتفهم مثل هذه الأمور.

وواجبـــنا نحن المسلمين في العالم أن نأخذ بأيدي إخواننا المسلمين فـــي الهـــند فنســـاعدهم من الناحية الثقافية والدينية، دون أن نتدخل في الشـــئون الداخلية لهم أو لبلادهم الهندية،وإذا كان لابد من التدخل فليكن للإصـــلاح والإيضـــاح بـــأن المسلمين يجب أن يكونوا مواطنين هنوداً صـــالحين يســـتفيد مـــنهم الوطن، وينتظرون مقابل ذلك أن يعترف لهم بخصوصـــيتهم الدينـــية، بل بأصالتهم الإسلامية،وهذا هو ما فعلناه، وما صرنا نقوله في المحافل والمحاشد، والله خير شاهد.

وأما هذا الكتاب فإنه خاص- كما قلت- بالكلام على مشاهدات في بعـــض شمال الهند من ولاية (أترا برديش) بمعنى الولاية الشمالية وهي كـــبرى الولايـــات الهندية من حيث عدد السكان وإن لم تكن أوسعها في المكـــان، لأن أوســـع الولايـــات الهندية على الإطلاق هي ولاية (مدهي برديش) بمعنى الولاية الوسطى.

وكذلك يتكلم الكتاب على أماكن في منطقة دلهي العاصمة التي هي بمثابة الولاية المستقلة.

وهو في مجمله كتاب رحلة وحديث عن أمور ظاهرة حاضرة، ومع ذلك رأيت ألا أخليه من شيء من الدراسات والمسائل التي تستحق البحث من الأمور العامة في الهند التي هي مشتركة بين الولايات الهندية ولم يجر تخصيصها لبحث في كتاب من كتب الرحلات الهندية الأخرى.

إذ صيرت هذا الكتاب بمثابة المقدمة أو الدائرة الشاملة للموضوعات التي تشغل بال الإخوة المسلمين خارج الهند.

وقد رتبته على موضوعات اعتمدت فيها على نقول وأقوال لغيري، إلاّ أنني مزجتها أو برهنت على بعضها بما عندي من معلومات شخصية عن الهند، مما هو مكتسب في الجولات في الولايات الهندية.

والله من وراء القصد..

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



المدن الهندية

غرائــب الهــند

كما لاحظها المؤلف

مختصر الحياة:

والمــراد بذلك الحياة المختصرة التي هي المتقصرة على أقل من الضروريات.

وقد لاحظت في جولاتي في الأرياف الهندية أن معظم الناس في القرى يعيشــون معيشة يصح أن توصف بأنها أقل من القليل من الحياة التي يراد بها التمتع بما في الحياة الدنيا من مأكل ومشرب وملبس ومسكن.

فرأيــت الــرجال يلــبس الواحــد منهم فوطة صغيرة يضعها على عورته المغلظة ليس غير، بمعنى أنه ليس عليه غيرها، وهذه كانت حال ملايين منهم.

ورأيت أنهم لا يتمتعون حتى بشرب الماء النقي أو الذي يبدو نقياً، وإنما يشربون من بقايا ما تخلفه الأمطار، أو تحفظه الأرض الطينية من مــياه، رأيــت النساء يغتسلن منها ويغسلن ملابسهن وملابس أطفالهن، وبعــض تلك المياه في الحفر أو البرك الطبيعية غير المعتنى بها تتغير حتى يصبح ماؤها أخضر اللون، ومع ذلك يستقي الناس منها الماء.

وأمـــا النساء فإن أمرهن أعجب إذ الفقر والعوز هو السائد عليهن، حـــتى إن بعض الشابات منهن أو غير العجائز - على الأقل - يعملن في البـــناء كما يعمل الرجال، وليس المراد بذلك أنهن ينجزن من العمل ما يـــنجزه الرجال، وإنما المراد أنهن يعملن في هذا الميدان ويتقاضين على ذلـــك أجراً يتناسب مع هزالهن وصعوبة الحركة عليهن، رأيت ذلك في عدة ولايات، ولعل أكثره ظهوراً في ولايتي بيهار ومهاراسترا، وقيل لي عـــندما رأيتهـــن أول الأمر: إن أجر العاملة الواحدة منهن لا يتجاوز ما يعادل ريالاً سعودياً ونصفاً أو ريالين.

ورغم فقرهن الواضح الذي حدا بهن إلى هذا العمل الشاق بأجر زهيد فإن الواحدة منهن ترتدي اللباس الهندي التقليدي للمرأة وهو الساري الذي يضرب أسفله حتى يصل الأرض، وله ما يشبه الردن أو الطرف الذي يشبه طرف الغترة مع جهة واحدة لا تفتأ المرأة تحاول أن تنسفه على كتفها لئلا يؤذيها عند الحركة، فيعود إلى مكانه من صدرها.

وأكل الجميع مثل ذلك فهو حفنة من الأرز أو كسرة صغيرة من الخبز غير المأدوم.

وقد رأيت في الهند وبخاصة في مدينة بومبي شيئاً لم أره في أي مكان أخر من العالم وهو مساكن الأرصفة التي تتمثل في أن طائفة من الناس يعيشون طول حياتهم على أرصفة الشوارع ليس لهم من المساكن إلاّ خيشة أو قطعة من الورق المقوى (الكرتون) يفترشونها أو يجعلونها كالصندوق الكبير الذي يسترهم وأما مكان قضاء حاجاتهم فإنه الأماكن العامة، وأما الطعام فإنه ما تيسر، وأما اللباس فإنه الذي على الجلد ليس غير.

ومع ذلك:

يجد المرء في المقابل أن طوائف من الهنود صاروا خبراء في البحوث العلمية المتقدمة كبحوث الذرة وصناعة الصواريخ والطائرات النفاثة، وقد فجروا الذرة بالفعل وملكوا السلاح الذري وصنعوا الصواريخ البعيدة المدى وصنعوا الدبابات وغيرها من الأسلحة.

وهذا من العجب!

وكان المتبادر للذهن أن يفكروا في كسوة أولئك العارين وإطعام الجائعين، ومداواة المرضى والزمني من شعبهم قبل أن ينفقوا النفقات

الطائلة على تلك البحوث الغالية المكلفة، ولكنهم كان هاجسهم القوة والتفوق على باكستان في المجالات العسكرية المهمة.

ولاشك في أن ذلك ناشئ من عادات درجوا عليها وألفوها حتى صاروا لا يستنكرونها وهي متخلفة من العصور التاريخية القديمة التي لا تبالي بفقر الفقير، ولا بمصائب الطبقات الشعبية السفلى التي يسمونها المنبوذين الذين لا تقتصر بلواهم في القديم على كون الأغنياء والنبلاء لا يبالون بهم، ولا يصنعون شيئاً من أجلهم، كما يفعل كثير من أمثالهم في أنحاء العالم، و إنما يتعدى ذلك في الهند إلى درجة الإهانة والاحتقار والتعدي حتى بالقتل إذا ما تجرأ شخص من الطبقات المنبوذة على مخالطة طبقة (البراهما) الراقية بزعمهم في مأكل أو ملبس أو نحوه، بل كانوا في القديم يعاقبونهم حتى لمجرد أن يقع ظل المنبوذ على البرهمي، لأنه ينجس البرهمي بوقوع ظله عليه، ولكي يتقي البرهمي تلك النجاسة يعاقب المنبوذ عقاباً أليماً ويجعله يفر من وجه البرهمي ولا يدع ظله يصل إليه.

مما حملني على أن أقول: إن أهل الهند في الأرياف والقرى الهندوكية يعيشون معيشة ناقصة أو هي حياة مختصرة ولكنه اختصار مخلٌّ.

الزهور:

مع ما ذكرته فإن المرء لا يخطئ بصره في المدن الكبيرة أن يرى باعة أو بائعات للزهور وهم أو هن بلباس زري، ومظهر لا يدل على العناية بالزهور، ولكن واقع الأمر خلاف ذلك فهم يبيعون الزهور ويشتري الناس منهم.

وأغلب الزهور التي يبيعونها ذات ألوان قرمزية، ولما أبديت

عجبـــي من ذلك لإخواننا في الهند أخبروني أن لذلك منحى دينياً، فهناك أنواع من الزهور تدخل في الديانة الهندوكية ولا أدري صحة هذا ولكنه مما يثير العجب في بلاد العجائب: بلاد الهند.

لأن المتـــبادر إلـــى الذهـــن أن الإنســـان الـــذي يعاني نقصاً في الغذاء أو الصحة أو اللباس لا يعتني بالزهور، فضلاً عن أن يبحث عنها ويشتريها بثمن.

مثلما أن العاشق إذا كان جائعاً عريان فإنه ربما ينسى عشقه حتى يشبع أو حتى يذهب عنه الجوع والعري.

عبادة الحجارة:

تكـــثر التماثيل في الهند لأغراض دينية عميقة الجذور، فلا يخطئ نظر المرء وبخاصة في المعابد أو ما قرب منها تماثيل لما يسمونه آلهة أو إلاهـــات، وأقبح ذلك التماثيل الخاصة بالفرجين، وهما فرجا الذكر والأنثى، حيـــث يقـــدس بعضـــهم الفروج أو يعبدونها يزعمون أنها هي سبب الوجود، لأنهم يرون بسذاجة أن الإنسان يأتي منها فيعتقدون أنها سبب وجوده.

وحـــتى الأشـــياء الضـــارة كالحـــيات والأسود يجعلون لها تماثيل يعـــبدونها لأنهـــا تمثل القوة بزعمهم، وهم يعظمون كل ما هو قوي ولو كانوا يقولون: إنه شرير أو إنه معاد لهم.

وذكر ابن النديم صاحب كتاب الفهرست في وصف أديان الهند: أن لهم صـــنماً يقـــال له (مهاكال) له أربعة أيد ولونه "أسمانجوني" كثير شعر الرأس سبطه كاشر الأسنان كاشف البطن، على ظهره جلد فيل يقطر منه الدم.

قـــد عقد بجلد يدي الفيل بين يديه، وبإحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه، وبالأخرى عصا، وبالثالثة رأس إنسان، واليد الرابعة قد رفعها، وفي

أذنيه حيتان كالقرطين، وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا حوله، وعلى رأسه إكليل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة، ويزعمون أنه عفريت من الشياطين يستحق العبادة لعظم قدره وتخلقه بالخصال المحمودة والمذمومة والمكروهة من العطية والمنع والإحسان والإساءة، وأنه المفزع لهم في الشدائد[1].

وهذا يجرنا إلى الحديث عن كثرة آلهتهم، وتعددها فهي تعد بالآلاف المؤلفة، وقد ذكر البيروني عنهم منذ آلف سنة أن عدد ألهتهم يصل إلى مئات الألوف.

البقرة:

ولكن البقرة من أكثر الأشياء التي يقدسونها ويعظمونها ظهوراً ووضوحاً، فهم يعظمونها إلى درجة أنهم لا يؤذونها حتى بالضرب، أو اعتراض سبيلها، وطالما رأيت الأبقار رابضة في شوارع بعض المدن تعيق المرور وتربك السير، ولكن لا أحد ينتهرها فضلاً عن أن يبعدها عن قلب الشارع.

ولهم في تعظيمهم البقرة أمور مضحكة، فهم يشربون أبوالها ويتمسحون بها يتبركون بذلك.

وقد قال أحد فلاسفتهم وقيل: إنه غاندي: إن في البقرة مظهراً لثلاثة آلاف إله، ولكنهم لا يفعلون مثل ذلك التعظيم للثور، الذي هو والد البقرة وابنها، فتراهم يحملون عليه الأحمال في العربات التي يجرها الثور، لا يفعلون ذلك بالبقرة.

---

(1) الفهرست، ص٥٠٢.

وسيأتي الحديث عن (البقرة) في الهند.

وأذكر أنني مرة تأخرت عن زيارة الهند لسنة أو نحوها، ولم أكن أبرقت للسفارة السعودية في دلهي بأن ترسل إليَّ من يستقبلني في المطار فركبت مع سيارة أجرة كنت أحدث سائقها ونحن في الطريق من المطار إلـــى الفندق بأشياء كثيرة كان منها أن سألته عن أسعار الأطعمة ومنها اللحم فذكر لي سعر كيلو لحم الغنم، فقلت له: ناسياً أنه ربما كان هندوكياً يعظم البقر: ولحم البقر كم يساوي الكيلو منه؟

فانتفض وقال لي مستنكراً: (إيت ماي قد؟) أي هل آكل ربي؟

ولـــم أجبه على سؤاله الاستنكاري هذا، لأن مستوى عقله وتفكيره دون ذلـــك، وإلا لقلـــت له: إن إلهاً يؤكل لحمه ويتغلب عليه ابن آدم لا يجوز أن يتخذ إلهاً، بل ولا أن يتخذ أداة من أدوات القوة.

المحافظة على التقاليد:

لقـــد كان عجبي عظيماً وأنا أرى الهنادك يحافظون على عاداتهم القديمة بطـــريقة تقلـــيدية عمياء، فتراهم إذا مروا بمعبد القرد مثلاً أومأوا إليه بالعبادة وهـــي أن يجمـــع الشـــخص مـــنهم كفيه بطن كل واحدة إلى بطن الأخرى ثم يضـــعهما تجاه وجهه ويخفض رأسه إلى الأرض، وهذه هي أيضاً هي التحية التقلـــيدية القديمـــة لمن يعظمونهم حتى من الأحياء، وغير رجال الدين ولكنهم في مثل هذه الحالات لا يخفضون رؤوسهم إلى الأرض.

ولهـــم ذوق خـــاص يصح أن يسمى بالذوق الهندي تراه ماثلاً في ألـــوان الملابـــس وحتى ألوان البيوت، وتفصيل اللباس وطريقة التعامل بمعنى الأخذ والعطاء الحسي مع الآخرين.

ولطالما عجبت وأنا أرى بعض ذوي المظهر المزري منهم يتمسكون بعاداتهم القديمة التي لا يتمسك بها غيرهم إلاَّ إذا صاروا من المتعلمين الذين نالوا كفايتهم من العيش.

ومن ذلك أن الفقير منهم لا ينظر إلى الغني نظرة حسدٍ أو يعصي أوامره ويخالفه لمجرد كونه أغنى منه، بل إن الفقير يتعامل مع فقره وغنى الغني كما لو كان ذلك قدراً متاحاً يجب التسليم به، وعدم النفور منه.

ومع ذلك فإن لهم عادات وأخلاقاً محمودة في التعامل مع الآخرين الذين لا يسيئون إليهم، فهم لا يؤذون الغريب إلا بشيء واحد في المدن وهو (الشحاذة) والتسول فإن السائلين منهم يسألونه ويلحفون في ذلك ولا ينصرفون عنه حتى يعطيهم شيئاً وحتى يكدروا صفوه.

ولكن ذلك يكون في الغالب في المدن الكبيرة وأماكن تجمع الناس.

فهم في التعامل مع الآخرين وبخاصة الأجانب على درجة رفيعة من الرقي والتهذيب.

ولكنهم مع من يخالفونهم من المسلمين أو يرون أنهم اعتدوا على معبودهم (البقرة) ينقلبون إلى وحوش كاسرة لا تعرف الملاينة، ولا المجاملة.

والتاريخ حافل بما يسمى بالمذابح الطائفية بين المسلمين والهنادك في الهند وأجزاء كبيرة من تلك المذابح والمآسي التي تتبعها يكون سببها البقرة، فالمسلمون يذبحون البقرة خفية ويأكلون لحمها، وكثيراً ما يستعملون ذلك بالأضحية، والهنادكة لا يطيقون ذلك، حتى يصل الأمر بهم إلى أن يقتلوا من عرفوا أنه قتل البقرة.

المرأة في الهند:

والمرأة في الهند قديماً كانت مظلومة، بل كان الظلم الذي يقع عليها أعظم من أي ظلم يقع على أية امرأة في العالم الذي قرأنا أخباره وآثاره في القديم، ومن ذلك أن زوجها إذا مات كان عليها أن تدخل النار التي تحرق بها جثته وحرق الميت أمر واقع حتى الآن.

وقد ذكرت مشاهداتي المتعلقة بحرق الميت في الهند في كتاب (الشرق الشمالي من الهند) وهو كتاب مطبوع، حيث شاهدتهم يحرقون جثث الموتى على ضفة النهر الذي يزعمونه مقدساً وهو نهر الكنج أو (قانقا) كما يسمونه، وقد شاهدنا ذلك في ضفة النهر عند مدينة بنارس المدينة المقدسة عندهم، بل كانوا يسمونها (هولي ستي) لهذا المعنى.

فكان على المرأة التي يموت عنها زوجها أن تدخل النار التي يحرق فيها جسده وهي حية حتى تحترق مع جثته.

وهذا أمر إلى فظاعته غير عادل، إذ الزوج الميت لا يحس بألم الحرق، وأما زوجته وقد تكون شابة فإنها يجب عليها حسب التقاليد الهندية الهندوكية أن تدخل النار حية لتموت معه، وتحترق جثتها مع جثته.

لقد استمرت هذه العادة مرعية معمولاً بها في الهند وهي قديمة حتى إن ابن بطوطة ذكرها في رحلته فنسبه بعض المؤرخين إلى الكذب قائلين: إن ذلك أمر غير معقول.

ولكن الواقع أن الأمر كذلك وأنه استمر حتى استولى الإنكليز على الهند فمنعوا هذه العادة بالقوة، ثم لما استقلت الهند أبقت الحكومة الهندية الوطنية برئاسة (جواهر لال نهرو) على المنع، ولكن كان يمارس سراً في بعض الحالات.

وإذا كانت هذه العادة الشنيعة قد ألغيت فإنه قد بقيت بقايا جائرة من التقاليد بالنسبة إلى المرأة التي يموت عنها زوجها، إذ عليها أن تظل بدون زوج حتى تموت، ولا يجوز لها أن تتزوج ولا يجوز لأحد من الرجال أن يتزوجها.

وقد قرأت مقالات صدرت في الهند حول هذا الموضوع تحكي الواقع، وإن كانت لا تطالب بإزالته فتقول بعضها إن فلانة وفلانة من اللاتي مات أزواجهن عنهن، وبقين دون زواج إما أن تصبح عاهراً أي تحترف الزنا، أو تمارسه، أو أن تبقى شقية محرومة طول حياتها، والأدهى حسب ما ذكرته المقالات أن لا أحد يريد أن ينفق عليها، فتكون محرومة أيضاً من متعة اللباس الجيد، ومن الأمل في الاستغناء عن أقاربها الذين قد يتصدقون عليها ببعض الضروريات من الطعام واللباس.

وبلغني أنها يجب عليها عندهم ألا تغادر البيت الذي مات فيه زوجها، لذا تكون عالة على أهل ذلك البيت، والمراد من ذلك أن تعيش فيه لا أن لا تخرج من بابه أو ألا ترى النور فهذا غير مراد.

وقد صار للمرأة الهندية الآن حق العمل كما يعمل الرجل وكثير من نسائها لهن وظائف، بعضها وظائف كبيرة، ولكنها مع ذلك تكون محافظة على العادات والتقاليد القديمة التي يحافظ عليها أكثرية الهنادكة.

ورأيتها تعمل في الأعمال الشاقة، مثل العمل في البناء وحمل الطين واللبن- بكسر الباء- كما رأيتهم يستخدمونها بمثابة العامل الرخيص حتى في شق الطرق ورصفها.

تلوث الهواء في المدن:

قلَّ أن يجد المرء مدينة من المدن الهندية إلاّ وهي ذات هواء ملوث، بسبب الحافلات ودراجات المحرك التي تسير بالديزل، ولا يلتزمون بأن يرفعوا أنبوب الأدخنة التي تخرج من الحافلات والشاحنات إلى أعلى حتى يكفوا الناس شره، بل هم يتركونها في أسفل السيارة تلوث الهواء وتدخل دخانها إلى صدور الناس.

ومع ذلك ليست السيارات متوفرة لدى عامة الناس مثلما هي متوفرة لدى بعض البلدان النامية وإلا لكان ذلك مصيبة عليهم عظيمة.

وقد لاحظت شيئاً آخر في مدينة بومبي وهو أن نهر المجاري الذي يراد به المياه المستعملة النجسة قد جعلوه يجتمع ويسير مكشوفاً إلى البحر ولكنهم صاروا يعملون- فيما قيل لي الآن- على تسقيفه وستره عن عيون الناس وأنوفهم.

وكنت أمر به إذا خرجت من قلب مدينة بومبي إلى مطارها فأتأذى من رائحته، وأنا داخل السيارة التي تسير بسرعة غير أن الزحام يرغمها أحياناً على الوقوف أو التأني في السير فتكون البلية عظيمة بهذه الروائح الخبيثة.

غير أن لتحمل الروائح الكريهة في الهند وجهاً آخر إذْ تجيز تقاليدهم العريقة أن يضرط الشخص منهم في المجالس وأن يطلق العنان للريح الكريهة التي تكون في بطنه وإن لم يسمع لها صوت.

وقد شهدت حالات منها الركوب في عربة قطار مقفلة من أجل تكييف الهواء وحتى عربات القطار غير المقفلة إذا سافرت فيها ليلاً

فإنني أعاني الفظائع من الروائح الكريهة التي تنطلق من الموجودين في العربة طول الليل.

وهــذا له أصل قديم وفلسفة تقول: إن هذه الروائح الخبيثة إذا بقيت في البطن أفسدت الجسم وإن قواعد الصحة تقضي إخراجها وعدم حبسها.

وقــد نشــأ عــن ذلك أو عن شيء يقرب منه غرام أغنياء الهنود بالطيب والروائح الطيبة من البخور بالعود ومن التطيب بالورد والمسك والصــندل لأنهــا تقاوم تلك الروائح أو هي لا تفعل ذلك ولكن يكون لها مفعول عظيم بالمقارنة بضدها.

ومــن ملوثات الهواء في القرى والأرياف التي ليس فيها سيارات كثيرة ولا مركبات تنفث الأدخنة، الوقود على الطعام بالروث وبالحطب الــذي يكون رطباً في بعض الأوقات، ومن ذلك أخثاء البقر والجاموس التي ينشرونها في الشمس من أجل أن تيبس، ثم يجمعونها كما رأيتها في أرياف عدد من الولايات على هيئة هرم يتخلله الهواء، ثم يستعملونها في الوقــود وإنضاج الطعام، وغير ذلك من أغراض الوقود، مع أن دخانها كثيف وينعقد في الجو، لذلك يحس المرء حتى في الأرياف وبخاصة في وقــت العصر حيث وقت طبخ الطعام بأن الجو ملوث بالأدخنة، ويحس أثــر ذلــك فــي حلقه مثلما يحس بالأدخنة من أنابيب السيارات الكثيرة المزدحمة في شوارع المدن.

وينبغــي أن ننوه هنا بأننا كنا قبل التطور الاقتصادي الأخير نفعل مثل ذلك من إيقاد النار بالروث الذي يطبخ عليه العشاء، ولكننا نفعل ذلك مــرة واحــدة في طبخ العشاء لأن قومنا لم يكونوا يطبخون أبداً إلا مرة

واحدة في اليوم لطعام العشاء، أما الغداء فإنه التمر واللبن أو التمر والماء، وأما الفطور فإنه لا فطور.

غير أن ذلك لا يلوث الهواء عندنا كما هو عندهم، وذلك لأنه لم تكن توجد في بلادنا كثافة سكانية، بل هي بلاد صحراوية واسعة يضيع فيها ذلك الدخان.

أما الآن فإن الحديث عن مثل هذه الأمور قد صار كالحديث في أعماق التاريخ عند الأجيال الصاعدة التي لا تعرف استعمال روث الحيوان لإيقاد الطبخ بل ولا تتصوره لأن الناس صاروا يستعملون الغاز النظيف المنضج ولله الحمد.

الغرام بالفلفل والحار:

عندما يصل الغريب مثلنا إلى بلاد الهند فإنه يفاجأ بكثرة الفلفل والبهار الحار في طعامهم إلى درجة تكاد تجعله لا يستطيع أن يأكله، وإن كان الجوع يحمله على ذلك، فإذا تجرعه وهو لا يكاد يسيغه من كثرة (الحار) فيه كانت المشكلة لم تنته فإنه يجد حرارته في بطنه ثم في مكان خروجه.

لقد عبرت عنها بالفلفل والحار والفلفل المراد به الأسود ذا الحب الأسود المكور الصغير وهو الفلفل الذي كان يعرفه أسلافنا العرب من عصر الجاهلية كما قال أمرؤ القيس الكندي في المعلقة:

ترى بعر الآرام في عرصاتها ... وقيعانها، كأنه حب فلفل

والآرام: نوع من الظباء وبعرها: برازها، والعرصات: الأماكن المكشوفة المتسعة.

وأما ذلك الذي صار يسمى بالفلفل وليس حباً صغيراً أسود مكوراً، وإنما هو قرون مستطيلة، فإنه ليس معروفاً للعرب، لأنه اكتشف في أمريكا عندما اكتشف العالم الجديد، ولم يكن معروفاً في العالم القديم من قبل، ولذلك لا يصح وصفه بالفلفل، لأن الفلفل غيره، وإنما يمكن أن يسمى بالحار- من الحرارة- وهكذا تسميه العامة في بلادنا نجد (بالحبحر) وتسميه العامة في غرب المملكة بالشطة.

ولو كانوا يضعون منه قليلاً مما يشهي الطعام لهان الأمر، ولكنهم يضعون منه مقادير كبيرة في الطعام، ويظلون يزيدون منها في الطعام، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن.

وقد لبثت دهراً أبحث عن سبب غرام أهل الهند بهذا الحار فلم أجد جواباً شافياً، وكونت لنفسي رأياً فيه ليس مبنياً على دليل، وهو أنه ربما كان مرجع ذلك إلى كون الهند في السابق كانت فيها مستنقعات كثيرة تكثر فيها الجراثيم، ويحمل الذباب وغيره من الحشرات ذلك إلى الطعام، ومعلوم أن الحار هذا يعقم الطعام بمعنى أنه يقتل بعض الجراثيم، ولذلك يوضع مع المخللات وبعض الأطعمة المحفوظة، لذلك كان الناس في مبدأ الأمر يضعونه مع الطعام لأنهم يجدون الطعام معه أهنا وأمرأ، ولكنني قرأت- أخيراً- بحثاً أوضح سبب غرام أهل الهند بالفلفل والحار وهو بحث أجراه أحد أساتذة البحوث في جامعة أسترالية على جماعة من المتطوعين فجعل فريقاً منهم يتناول هذا الحار في طعامه لمدة ٤٥ يوماً، وهو يقيس أثر ذلك في نفسه، وفي شعوره، فوجد بعد البحث أنه يورث الإدمان لدى من يواظب على تناوله، بحيث يقل عنده الإحساس بالألم، وإن هذا هو الذي يفسر عدم شعور الذي يستعمل الحار في طعامه بالألم عند تناوله مع الأكل، وكذلك في الموضع الآخر الأخير.

ونعـود إلـى العجب في الأمر وهو أن أهل الهند من أقصاها في الشـمال وهي كشمير إلى أقصاها في الجنوب وهي (ماليبار) أو كيرالا كلهم يتناولون الفلفل والحار، ولذلك قلت: إن الهند فيها مذاهب ومشارب ونـزعات، بل وأديان داخل الأديان الكبيرة مثل الهندوكية التي هي في الحقـيقة أديان كثيرة،وإذا شئنا التلطيف قلنا إنها مذاهب كثيرة، وإن كان الواقـع أنها أديان إذْ يقدس أهل وسط الهند وشمالها (رام) ويسمونه كبير الآلهة، على حين أن أهل جنوبه يقدسون (راوون) ويعبدونه وهو شيطان عند أهل الوسط والشمال، لذلك رأيت أهل وسط الهند وبخاصة في مدينة (أندور) كبرى مدن وسط الهند الذي يراد به ولاية وسط الهند التي تسمى (مدهـى بـراديش) بمعـنى الولاية الوسطى يجعلون تماثيل من الخرق والخيش لراوون هذا الذي هو إله أهل الجنوب ويحرقونها مع أنهم كلهم من الهنادكة.

وأعـود فـأقول: إنني لم أر أهل الهند كلهم يتفقون إلاَّ على شيئين أولهمـا: الغـرام بـالفلفل والحـار. والثاني: هز الرأس يميناً ويساراً عند الموافقة، أو الاستحسان للشيء.

أفضل أقلية مسلمة:

كـل مـا سبق من العجائب أو أكثره متعلق بالهنادكة وهم كفار أهل الهند، ولكـن المسـلمين فـي الهـند لهم عجائب كثيرة منها أنهم أقلية يقول المكثر لهم منهم: إنهم يبلغون ١٢./. ويقول المقل: إنهم ١٠./. من مجموع سكان الهند.

ويواجهـون تحديـات ضخمة من الأكثرية الهندوكية التي يرى المتعصبون فـيها أن المسـلمين حكموا الهند ما يقرب من ثمانية قرون أو سبعة، وإنهم كانوا

يذلونهم ويحتقرونهم ويكلفونهم من الضرائب ما يستطيعون وما لا يستطيعون، وإنه لذلك ينبغي لهم أن ينتقموا من المسلمين المعاصرين، حيث لم يستطيعوا أن ينتقموا من المسلمين الأولين.

ومع ما في هذا القول من مجانبة الحقيقة، من قياس مع الفارق حيث يقيسون الأمور في العصور القديمة على الأمور في العصر الحاضر مع الفارق فإن الأمر ليس كما قالوا ولا ما ذكروه عن ظلم عظيم لحق بهم في العصور القديمة أثناء الحكم الإسلامي، لأن طبيعة حكم الحكام والملوك في تلك العصور القديمة أن تجبر الرعايا الذين يخالفونها في الدين على ترك أديانهم.

إلا إذا انعزلوا وفارقوا الحياة الاجتماعية، ومع ذلك حتى لو انعزلوا فإنهم يلاحقونهم بجبايات الضرائب والأموال فإن ملوك المسلمين في الهند لم يفعلوا هذا، بل أبقوا الأكثرية الهندوكية على دينها، بل وعلى حالها، إلاّ من حاول أن يخرج بقوة السلاح عن طاعتها.

وأذكر مرة سافرت فيها بالطائرة من مدينة بومبي إلى مدينة جيفور عاصمة ولاية راجستان وكلتاهما في غرب الهند وكان جاري في المقعد هندوكياً ثرياً يدل على ذلك ثقل جسمه، وشيء مهم آخر وهو أنه يحمل منديلاً ورديا ينظف به أنفه، وهو بهذا يكاد يكون بدعاً من الأمر بين عامة الناس هنا الذين يمسحون أنوفهم بأيديهم.

سألني من أي بلد أكون؟ فقلت: من السعودية، فقال بسرعة وبتأثر: السعودية صديقة لباكستان.

فقلت: وللهند، فسكت، ثم قلت له: أتعرف مشكلات في صداقة

السعودية مع الهند؟ فقال: لا، فقلت له: إننا نتمسك بالإسلام الذي يوصي برعاية العهد والمحافظة عليه والإحسان إلى الجميع.

فقال: المسلمون يقتلون الهندوك، يشير بذلك إلى أخبار اضطرابات في إحدى مدن الهند؟ فقلت له: أنت تعلم أن المسلمين الآن في حالة ضعف وهم أقلية عددية قليلة، وليس لهم من نصيب في الإدارة كما للهنادكة، فكيف يقتلونهم؟ وإذا وقعت اضطرابات فإن عواطف الشرطة مع الهنادك.

فسكت مقتنعاً فيما يبدو فقلت له: ولكن أرى أن الإنصاف يقتضي منا أن نذكر القديم عندما كان المسلون يحكمون الهند، وكان الهنادكة تحت إرادة المسلمين وفي ذلك الوقت كان التعصب الديني والمذهبي هو السائد في العالم، ولو أراد المسلمون قتل الهنادكة أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، ومن لم يسلم منهم قتلوه لفعلوا ذلك دون أن يعرف العالم الخارجي شيئاً من الأمر، فضلاً عن أن يستنكره أو يحرك ساكناً من أجله، لأنه ليس هناك قبل ثمانية قرون وما تلا ذلك الوقت مواصلات، بل لم يكن هناك رأي عام دولي.

فلو كان المسلمون يريدون قتل الهنادكة لقتلوهم في ذلك الحين فكيف يريدون قتلهم الآن؟

فقال: هذا صحيح، وقد أظهر أنه مقتنع من كلامي وهو مثقف، وربما كان يشغل منصباً كبيراً.

وهكذا يمكن إقناع بعض المفكرين من الهنادكة بأن الإسلام فيه الخير لهم ولغيرهم، وبأن المسلمين المعاصرين ليسوا أعداء لهم، ولا للوطن الهندي، وأن هذه الاضطرابات الطائفية الحاضرة مفروضة عليهم نتيجة لاستفزاز المتعصبين من الهنادكة أنفسهم.

ورغم استئثار الهنادكة بالوظائف الحكومية دون المسلمين وكون الشرطة وأفراد الجيش بأغلبيتهم من الهنادكة، وإذا حدثت اضطرابات أو مذابح بين المسلمين والهندوكيين كانت الشرطة التي يفترض فيها أنها شرطة وطنية مهمتها تثبيت الأمن للجميع، تنحاز للهنادكة ضد المسلمين، وهذا أمر صار معروفاً وسوف يأتي الكلام عليه.

ولكننا نريد هنا أن ننوه بأنه رغم ذلك وغيره مما لم نذكره هنا فإن المسلمين يعتبرون بعملهم لدينهم وإخلاصهم له، وإنفاقهم عليه (أفضل أقلية مسلمة في العالم) فهم ينشئون المدارس الإسلامية، بل الكليات والمعاهد، وينفقون عليها من أموالهم، ويوجدون دور الأيتام والملاجئ، يوقفون الأوقاف من أموالهم عليها، ولا تجد ثرياً مسلماً أو حتى شخصاً قادراً على التبرع إلاّ وهو يتبرع في حياته لهذه المؤسسات الإسلامية ولو كان معروفاً، بل مشهوراً بالبخل على نفسه، وعلى شهواتها من المأكل الفاخر أو الملبس الغالي فضلاً عن المركب الذي هو السيارة أو غيرها فإنه ينفق بسخاء على المشروعات الإسلامية حتى صاروا مضرب الأمثال بذلك.

وليس ذلك خاصاً بما فعلوه ويفعلونه في بلدانهم ولكنهم كذلك فعلوا ويفعلون في مهاجرهم، فما أن يحلوا بلداً أجنبياً حتى في الدول المتقدمة مثل أوروبا وأمريكا إلا ويسارعون إلى تأليف جمعية أو حتى أن يعملوا بصفة فردية إذا لم توجد بقربهم جماعة مسلمة على إنشاء مسجد لابد أن تتبعه مدرسة إسلامية يرسلون إلى الهند من أجل أن يستقدموا من يسمونه (مولانا) وهو الشيخ الإمام الذي يؤمهم في صلواتهم، ويعلم أطفالهم يضمنون له التذاكر والراتب الذي يكفي لنفقته.

وأمـــا فـــي الـــبلدان غير المتمدنة مثل إفريقيا وأجزاء من آسيا فإن أعمالهم ومآثـــرهم بـــل ومفاخـــرهم في العمل الإسلامي وسخائهم في النفقة عليه لا يمكن لعـــاقل أن يـــنكرها، بـــل لا يمكـــن لعاقل منصف مطلع إلاّ أن يحكم بأن إخواننا مســـلمي الهـــند هـــم أفضـــل أقلـــية مســـلمة في العالم، تعمل لدينها، وتنفق على المؤسسات الإسلامية بسخاء وبتواصل مستمر عجيب، وهذا من عجائب الهند.

وطالمـــا ســـمعنا مـــن غـــير ذوي البصيرة من الناس أن أهل الهند بخلاء، وأنهـــم يدققـــون في نفقاتهم إلى درجة لا يفعلها غيرهم حتى إنهم إذا قدموا طعامهم لضـــيوفهم قســـموا الخـــبزة إلـــى قطعتين وإذا (تفكهوا) قسموا التفاحة والحبة من البرتقال إلى أكثر من قسمين، بحيث يأكل كل ضيف قطعة من تفاحة.

وهذه حقيقة رأيتها في موائدهم، ولكنهم يفعلون ذلك حتى لا يضيع من الطعام أو الفاكهة شيء هباءً كما نفعل نحن العرب، فهم قد يقسمون الـــتفاحة، ولكـــنهم لا يمنعون من أراد أن يأكل أكثر من قسم أو قسمين منها، وهم يقسمون الخبزة في بعض الأحيان حتى لا يفسدها الآكل بأكل بعضها وترك البعض الآخر.

وما أذكر أنني حضرت مأدبة خاصة أو عامة في الهند فرأيت أن الضيوف أو حتى المدعوين قد أحسوا بنقص في الطعام والشراب أو في الفاكهة وإنما هو التدبير المحمود.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يقدمونه لضيفهم المسلم من الخدمات الأخرى ثم عرفـــنا مـــا يـــنفقونه علـــى المؤسســـات الإســـلامية من مدارس ومعاهد بل ومستشفيات عرفنا أن هذا هو السخاء بعينه، وليس من البخل في شيء.

قتل الإنسان وعدم قتل الحيوان:

مــن عجائب الهند ما تقدمت الإشارة إليه من أن الذي يقتل البقرة يقــتله الهنادكة المتعصبون، فكأن الحيوان عندهم أشرف من الإنسان أو كأنها انحطت رتبة الإنسان في نظرهم إلى رتبة الحيوان.

ومذهــبهم في عدم قتل الحيوان مطَّرد حتى الحيوان الضار كالحية والعقــرب فــإنهم لا يقــتلون شــيئاً منها، وكذلك الطيور حتى الضارة المكروهة كالغربان.

ومــع ذلك فإن أسهل شيء عندهم أن يقتلوا من يخالفهم في الدين كالمســلمين عــند أشياء تافهة، وتاريخ الهند حافل بذلك حتى في الزمن الحديث وحتى العصر الحاضر.

وقــد قــرأنا فــي الجرائد وسمعنا في الأخبار أن قتل البنات أيضاً موجود في الهند ومن الجرائد التي نشرت ذلك جريدة الرائد التي تصدر باللغــة العربــية في الهند، وذلك في عددها الصادر في الأول من شهر صفر عام ١٤١٦هـــ.

وهذا نص ما ذكرته تحت عنوان: (واد البنات في الهند).

وأد البنات في الهند:

أفــادت التقارير الواردة من ولاية بيهار بأن ألوفاً من البنات تقتل بعد مولدها مباشرة سنوياً، وجاء في دراسة أجرتها الجمعية النسائية التي تعمــل لأجــل صــالح الأطفــال بــأن فرقة من العاملات قامت بجولة اســتطلاعية التقــت فــيها بالقابلات في ولاية بيهار، فأخبرنها بأنه يتم بأيديهــن وأد أكــثر من ألف بنت سنوياً في ولاية بيهار وحدها، والأمر

المثير للإستعجاب هو أن هذا الوأد يتم بين العائلات الغنية أكثر مما يقع في العائلات الفقيرة.

وأفـــادت قابلة بأنه في حالة مولد البنت في العائلات الهندوسية من الطـــبقات العلـــيا وخاصة من طبقة راجبوت يتغير فجأة موقف أعضاء الأسرة من البنت ويأمرون بالقتل بدون تأخير ويتم قتلها بالقاء الملح في فمها أو مادة سمية أخرى وتموت المولودة في مدة ساعة واحدة، والبنت التـــي لا تمـــوت عـــن هذا الطريق تخنق فتموت، وقالت القابلة للفريق الاستطلاعي: إننا نحصل على هذه الأعمال الوحشية مكافأة وهي خمس وعشرون روبية هندية.

وأفـــادت صـــحيفة "دعوت" الصادرة في مدينة دلهي والتي قامت بنشر هـــذه الدراســـة فـــي ١/٥/٩٥م أن هذا التقليد الوحشي في البداية كان خاصاً بطـــبقة راجـــبوت وحدها، ولكن انتشر في الأعوام الأخيرة إلى طبقات أخرى من بهومي هار، يادو، كائيسته حتى البراهمة أيضاً اتخذت هذا التقليد.

انتهى ما ذكرته الجريدة.

والمبلغ الذي ذكرت أن القابلة القاتلة تتقاضاه مقابل قتل البنت وهو ٢٥ روبية هندية يساوي ثلاثة دولارات.

ما أرخص قتل الطفلة عندهم!

معتقدات وعادات هندية قديمة:

إذا أطلق علماؤنا الأوائل كلمة (الهند) أو (أهل الهند) فإنما يريدون بذلك كفار الهند من الهنادك والبوذيين ونحوهم، وذلك أن الإسلام كان في الهند قليل الأنصار في القرون الأولى، وكان المسلمون عددهم قليلاً فيها.

ولذلك انصب حديث القدماء من علمائنا على أهل الهند من الأغلبية غير المسلمة.

ومن ذلك ما قاله الإمام الحجة الثبت أبوالريحان البيروني عن أهل الهند وما نقله من عادات لهم واعتقادات قديمة بدأت بها قبل غيرها لتقدم زمنه عن غيره فقد عاش في القرن الرابع الهجري قبل أن يكثر المسلمون في داخل الهند، ويكرر هنا أنه لا يريد بكلامه إلاّ كفار الهند.

قال أبوالريحان البيروني:

(وفي سير الهند ما يخالف رسومَ أهل بلادنا في زماننا مخالفةً تصير بها عندنا أعجوبة ويخيَّل إلينا منهم في قلبها تعمّدٌ فإنّ تساوينا معاً في هذا العكس ونسبته إلى الغير، فمنها أنّهم لا يَحلقون شيئاً من الشعر وأصلهم العُريُ لشدة الحرّ كيلا تُعلى[1] رؤوسهم بالانكشاف، ويَضفِرون اللحى ضفائر صيانةً لها، ويعملون في ترك شعر العانة أنّ حلقها مهيِّج للشهوة زائدٌ في البلية ثم لا يحلقها المولعُ منهم بالباءة الحريْصُ على المباضعة.

ويطوّلون الأظفار فخراً بالتعطل فإنّ المِهَن لا تتأتى معها واستروحاً إليها في حك الرأس وفلي الشعر، ويأكلون أوحاداً فرادى على مندل السرقين[2]، ولا يعودون إلى ما فضل من الطعام ويرمون بأواني المأكول إذا كانت خَزفيّة، ويحمِّرُون الأسنان بمَضْغ الفَوفَل بعد تناول ورق التنبول والنورة، ويشربون الخمر على الريق ثم يَطعَمون.

ويحسون بَول البقر[3] ولا يأكلون لحمها، ويضربون الصنوج

---

[1] ربما كانت صحتها: تغلي.
[2] السرقين هنا السماد.
[3] يحسون بول البقر أي يشربونه.

بمضراب، ويتسرولون بالعمائم ثمّ المفرِّطُ منهم يكتفي من اللباس بخرقةٍ قدرِ إصبعين يَشُدُّها على عورته بخيطين والمُفرط يَلْبَسُ سراويل محشوة بقطن يكفي عدّة لُحُفٍ وبرادعَ[1] مسدودة المنافذ لا يبرزُ منها القدمان والتكّةُ إلى خلف، وصُدُرهم بالسراويل أشبه ومَشَدُّها بالشفاسق نحو الظهر، ويشُقُّون أذيال القراطق[2] إلى اليمين واليسار.

ويضيّقون الخفاف حتى يُبتدأ في لبسها وهي مقلوبة من السوق[3] قبل الأقدام، ويبتدئون في الغَسيل بالرّجْل قبل الوجه، ويغتسلون ثم يجامعون، ويقفون في الباءة كعريس الكرم، والنساء يُقمن بأمور الحراثة وأزواجُهنّ في راحة.

ويتضمخون في الأعياد بالأخثاء[4] بدل العطر، ويلبس ذكورهم ملابس النساء من الصيغات والشنوف والأسورة وخواتيم الذهب في البناصر وفي أصابع الأرجل، ويترحمون على المأبون والمُخَنّث منهم ويسمّى "بُشَنّدل".

ويتوجهون نحو الحائط في الغائط ويكشِفون السَّوْءة نحو المارّ، ويعبدون "لِنك" وهو صورة أير "مهاديو"[5] ويركبون بغير سرج وإن أسرجوا ركِبوا عن يمين الدابّة ويُحبون الإرداف في المسير، ويشُدّون "الكتارة" وهي الخنجر في أوساطهم من الجانب الأيمن، ويتقلدون بالزنار المسمّى "جِنُجوا"، على العاتق الأيسر نحو الجنب الأيمن ويستشيرون

---

(١) البرادع: جمع بردعة وهي ما يوضع على ظهر الحمار وقاية لراكبه.

(٢) القراطق: جمع قرطق وهو حلة تلبس كنا نسميها الدقلة الهندية.

(٣) السوق: جمع ساق.

(٤) الأخثاء: جمع خثي وهو براز البقر، يتضمخون بها: يتطيبون.

(٥) مهاديو: من كبار المعبودين عندهم وأيره: ذكره.

النســاء في الآراء والعوارض، ويُحسنون وقتَ الولادة إلى الرجال دون النساء، ويُفضلون أصغر الأبنين وخاصة في مشارق أرضهم زاعمين أنّ كون أكبرهما عن شهوة غالبة والأصغر عن قصد وفكرة وتُؤَدَة ويأخذون الــيد فــي المصــافحة، من جِهَةِ ظهر الكَفّ، ولا يستأذنون للدخول في البيوت ثم لا يخرجون من غير استئذان، ويتربعون في المجالس ويبزقون بالنخاعة غير محتشمين الكبراء.

ويقصــعون[1] القمل بين أيديهم، ويتيمنون بالضّرطة، ويتشاءمون بالعُطــاس، ويستقذرون الحائكَ ويستنظفون الحجّام وقاتل المستميتة منهم بالأجــرة إغراقاً وإحراقاً، ويُسَوِّدون ألواح المكاتب للصبيان ويكتُبون في طولهــا دون عرضها بالبياض من اليسار نحو اليمين كأنّ القائل عناهم بقوله شعر:

وكاتبٍ قرطاسُــه مــن حمَمُــهْ[2]   يكتُــبُ فيــه بالبيــاض قلمُــهْ
يكتُبُ في ليلٍ نهارًا ســـــاطعاً   يُسْنــــدِيهِ إلاّ أنــــه لا يُلحِمُــهْ

ويكتُــبون اســم الكــتاب فــي آخِره ومختتمه دون أوّلِه ومُفتَتَحِه، ويُعظّمون الأسماء في لغتهم بالتأنيث كما يُعظّمها العربُ بالتصغير، وإذا نوولوا شيئاً أرادوه مرمياً إليهم كما يُرمَى إلى الكلاب.

فــإن ادّعــوا المخالفة علينا كما ادّعيناه عليهم جعلنا الامتحان في صــبيانهم حكمــاً فما وجدتُ غلاماً هندياً قريب العهد بالوقوع إلى بلاد الإسلام غير متدرِّب برسوم أهلها إلاّ ويضع الصندلة[3] بين يدي صاحبه

---

[1] يقصعون القمل يقتلونه عن طريق الضغط عليه بين ظفري اليد.
[2] حممه: سواده.
[3] هي نوع من النعال.

مخالفة لوضعها الحقيقي أعني اليمنى للرجل اليسرى ويطوي الثياب مقلوبة ويفرش الفُرُش معكوسة.

وأمثال ذلك لما في الغريزة من انعكاس الطبيعة ولستُ أفرد الهند بالتوبيخ على الجاهلية فقد كان العرب في مثلها يرتكبون العظائم والفضائح من نكاح الحيض والحبالى واجتماع النفر على إتيان امرأة واحدة في الطهر الواحد وادّعاء الأدعياء وأولاد الأضياف ووأد الابنة دع ما في عباداتهم من المكاء والتصدية وفي طعامهم من القذر والميتة وقد فسخها الإسلام كما فسخ أكثر ما في أرض الهند التي أسلم أهلها والحمدلله.

وقال أبوالريحاني البيروني (في تحقيق ما للهند من مقولة، ص١٧): وذلك أنهم - يقصد الهنادك القدماء- يعتقدون في الأرض أنها أرضهم، وفي الناس أنهم جنسهم،وفي الملوك أنهم رؤساؤهم، وفي الدين أنه نحلتهم، وفي العلم أنه ما معهم، فيترفعون ويتبظرمون.

ويعجبون بأنفسهم فيجهلون، وفي طباعهم الضَّنّ بما يعرفونه والإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيرهم؟

على أنهم لا يظنون أن في الأرض غير بلدانهم، وفي الناس غير سكانها وأن للخلق غيرهم علماً.

في تحديد المعمور من الأرض عندهم:

في كتاب "بَهُوبن كُوش" الرش: إنّ الأرض المعمورة من "هِمَمنت"[1] نحو الجنوب وتسمّى "بهارث برش"، سمّيت باسم رجل اسمه بهارث كان يسوسهم ويمونهم، و أهل هذه المعمورة هم الذين يقع عليهم الثواب

---

[1] هممنت: هي جبال الهملايا.

والعقاب دون غيرهم، وتنقسم هذه المعمورة تسعة أقسام تسمّى "نوكند برثم" أي التسع القِطع بحار يعبر فيها من واحد إلى آخر، وعرض المعمورة من الشمال إلى الجنوب ألف "جوزن"، فاشارته هاهنا إلى هممنت هي إلى الجبال التي في الشمال عند منقطع العمران من البرد والعمارة ضرورة في جنوبها، وإشارته إلى أهلها أنهم هم المكلّفون دليل على زوال التكليف عن غيرهم، وزواله لا يكون إلاّ بالارتفاع عن الأنسيّة إلى رتبة الملائكة الذين هم ببساطة جواهرهم ونقاء طباعهم لا يعصون أمراً ولا يسأمون العبادة، أو بالانحطاط عنها إلى رتبة البهائم التي لا تعقل، فليس ممّا عدا المعمورة إذن أحد من الناس.

وليس بهارث برش أرض الهند فقط كاعتقاد الهند فيها أنها الدنيا وأنهم الناس فقط فليس تخترق أرضهم بحر تميّزُ به فيها قطعة عن قطعة، ولا يُذهبُ في القطع إلى الديبات فقد صرّح بأنّ تلك البحار يُعبرُ فيها من جانب إلى جانب، ولزم من قوله أنّ أهل الأرض كلّهم والهند في لزوم التكليف شرع واحد، وإنما سمّيت هذه القسمة "برثم" أي أوّل لأنهم يقسمون أرض الهند بها أيضاً وحدها فتكون قسمة المعمورة أولى وهذه ثانية، ومنجّموهم يقسمون كلّ مملكة بها فتكون قسمة ثالثة، وذلك عند نظرهم في مواقع المناحس والسعادات منها.

وقال البيروني أيضاً في (تحقيق ما للهند من مقولة، ص١٤): ومنها أنهم يباينوننا بالديانة مباينة كلية لا يقع منا شيء من الإقرار بما عندهم ولا منهم بشيء مما عندنا.

إلى أن قال في عادتهم فيمن يخالفهم، قال: يسمونه (مْلَيْج) وهو

القذر لا يستجيزون مخالطته في مناكحة ومقاربة أو مجالسة، ويستقذرون مـــا يصـــرف على مائه وناره، وعليهما مدار المعاش، ثم لا مطمع في صلاح ذلك بحيلة كما يطهر النجس بالانحياز إلى حال الطهارة.

ومـــنها أنهـــم يباينوننا في الرسوم والعادات حتى كادوا أن يخوفوا ولدانهم بنا، وبزينا وهيأتنا وينسبوننا إلى الشيطنة.

في ذكر بيذ والبرانات وكتبهم الملّية:

"بيذ" تفسيره العلم لما ليس بمعلوم، وهو كلام نسبوه إلى الله تعالى مـــن فـــم "بـــراهم" ويـــتلوه "البراهمة" تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره ويتعلمونه كذلك فيما بينهم يأخذه بعضهم من بعض ثم لا يتعلم تفسيره إلاّ قلـــيل مـــنهم وأقلّ من ذلك من يتصرف في معانيه وتأويلاته على وجه الـــنظر والجدل؛ ويعلّمونه "كشتر"[1] فيتعلّمه من غير أن يطلق له تعليمه ولو لبرهمن، ثم لا يحلّ لبيش ولا لشوُدر أن يسمعاه فضلاً عن أن يتلفظا بـــه ويقرآه وإن صحّ ذلك على أحدهما دفعته البراهمة إلى الوالي فعاقبه بقطـــع اللســـان؛ ويتضـــمّن بيذ الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، ومُعظّمُه على التسابيح وقرابين النار بأنواعهـــا التـــي لا تكاد تحصى كثرةً وعسرة؛ ولا يجوِّزوِّن كتبته لأنه مقروء بألحان فيتحرّجون عن عجز القلم وايقاعه عنها.

وقال الإمام المؤرخ المسعودي في مروج الذهب:

وقد تنوزع في مبدأ النهر المعروف بنهر الهرمند، فمن الناس من رأى أنـــه مـــن عيون بجبال السند والهند، ومنهم من رأى أن مبدأ نهر

---

[1] كشتر: أحد طبقات السكان في الهند.

الكــنك[1]، وهــو نهر الهند، ويمر بكثير من جبال السند، وهو نهر حاد الانصباب والجريان، عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتغرقها زهداً فــي هــذا العالم ورغبة في النقلة عنه، وذلك أنهم يقصدون موضعاً في أعالــي هذا النهر المعروف بالكنك، وهناك جبال عالية، وأشجار عادية، ورجــال جلوس، وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر، وقطع من الخشب، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية، فيسمعون كلام أولــئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم في هذا العــالم والترغيــب فيما سواه، فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة، فينقطعون قطعاً، ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء، وما ذكرنا فموصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك.

إلى أن قال المسعودي:

والهند تعذب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب من دون الأمم، وقــد تيقنت أن ما ينالها من النعيم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفته من تعذيب أنفسها في هذه الدار معجلاً، ومنهم من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراقه نفسه، فيدور في الأسواق، وقد أججت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بإيقادها، ثم يسير في الأسواق وقدامه الطبول والصــنوج، وعلــى بدنه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه، وحوله أهله وقرابته، وعلى رأسه إكليل من الريحان، وقد قشر جلده عن رأســه، وعلــيها الجمــر وعليها الكبريت والسندروس؛ فيسير وهامته {تحــترق} وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل،

---

[1] الكنك هو نهر الكنج الذي يسميه أهل الهند الآن قانقا.

والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصغر ما يكون من ورق الأترج يمضغ هـذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل، وهو الذي غلب على أهل مكة وغـيرهم مـن بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلاً من الطين،ويكون عند الصنادلى للورم وغير ذلك.

وهـذا إذا مضـغ على ما ذكرنا بالورق والنورة شد اللّثَةِ، وقوى عمـود الأسنان، وطيب النكهة، وأزال الرطوبة المؤذية، وشهى الطعام، وبعـث علـى الباه، وحمَّر الأسنان حتى تكون كأحمر ما يكون من حب الرمان، وأحدث في النفس طرباً وأريحية، وقوى البدن، وأثار من النكهة روائح طيبة {خمرة}.

والهند خواصها وعوامها تستقبح من أسنانه بيض، وتجتنب من لا يمضغ ما وصفنا، فإذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الأسواق وانتهى إلـى تلـك النار وهو غير مكترث ولا متغير في مشيته ولا متهيب في خطوته، ففيهم من إذا أشرف على النار وقد صارت جمراً كالتل العظيم يتناول بيده خنجراً– ويدعي الجرىء عندهم– فيضعه في لبته[١].

وقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض اللارمن مملكة الـبلهرا، وذلك في سنة أربع وثلاثمائة، والملك يومئذ صيمور المعروف بحـاج[٢]، وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسـيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن في تلك البلاد، وفيهم خلق من وجوه التجار، فرأيت بعـض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم، فلما دنا من النار أخـذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على

---

(١) لبته: صدره.
(٢) لعلها وجانغ.

كبده فجذب منها قطعة وهويتكلم فقطعها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاوناً بالموت ولذة بالنقلة، ثم هوى بنفسه في النار، أنتهى ما ذكره السعودي.

أقول:هذا غير ممكن عقلياً ولا طبياً، ولعل ما رآه المسعودي هو تخييل سحري أو لعله رأى الرجل قطع قطعة من ظاهر بطنه، فظن أنها من كبده.

ثم قال المسعودي:

وإذا مات الملك من ملوكهم، أو قتل نفسه حرّق خلق من الناس أنفسهم لموته، يدعون هؤلاء البلانجرية، وأحدهم بلانجري وتفسير ذلك: المصادق لمن يموت، فيموت بموته، ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس، من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الأبدان، وتقشعر منها الأبشار[1].

وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا (أخبار الزمان)[2].

وقال الشيخ سليمان الندوي في كتابه (تاريخ الصلات بين الهند والبلدان العربية).

وكذلك نظم الشعراء العرب بعض حقائق الهند وتجاربها في شعرهم كأنها المثل السائر والحكم الهندية، وفي ذلك قول المسعودي: "وللهند التقدم في صناعة الطب، ولهم فيه اللطافة والحذق، وذكر هذا المخبر عن الهند هو: أن السعال عندهم أقبح من الضراط وأن الجشاء في وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها، واستشهد هذا المخبر عن

---

(1) الأبشار: جمع بشرة وهي الجلود.

(2) مروج الذهب ج١، ص٢١٠..

صـــحة مـــا حكـــاه عن الهند باستفاضة القول في ذلك عند كثير من الناس عنهم حتى نكر ذلك عنهم في السير والأخبار والنوادر والأشعار.

فمن ذلك ما ذكره أبان بن عبدالحميد في الأرجوزة المعروفة بذات الحلل وهي:

قــد قال ذو العلــم النصيح الهندي	**مقالــة أجــاد فيهــا عنـــدي**
لا تحبس الضرطة إما حضـــرت	**وخلهــا وافتح لها ما استفتحت**
فإن أدوا الــداء فـــي إمســـاكها	**والـــروح والراحة في إفكاكهـــا**
والقبـــح فـــي الســعال والمخـــاط	**والشوم في العطاس لا الضراط**
أما الجشـــاء ففســـاء صـــاعـــد	**ونتنـــه على الفســـاء زائـــد**

عبادة البقر في الهند

قدمت شيئاً من الكلام عن عبادة البقر في الهند، كما نعرفها الآن، وقد وجدت أبا الريحان البيروني رحمه الله تكلم على ذلك قبل ألف سنة في كتابه: (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة) قال:

وقد قال بعضهم إنّ البقر كان قبل بهارث" مباحاً ومن القرابين ما فيه قتلُ البقر إلاّ أنّه حرّم بعد بهارث لضعف طباع الناس عن القيام بالواجبات كما جعل "بيذ" وهو في الأصل واحد أربعة أقسام تسهيلاً على الناس، وهذا كلام قليل المحصول فإنّ تحريم البقر ليس بتخفيف ورخصة وإنما هو تشديد وتضييق، وسمعت غير هؤلاء يقولون: إنّ البراهمة كانت تتأذّى بأكمل لحمان البقر، لأنّ بلادهم جروم[1] وبواطن الأبدان فيها باردة والحرارة الغريزيّة فيها فاترة والقوّة الهاضمة ضعيفة يقوّونها بأكل أوراق التنبول عقب الطعام ومضغ الفوفل، فيُلهب التنبولُ بحدّته الحرارةَ وينشف ما عليه من النورة البلّة ويشدّ الفوفل الأسنان واللثة ويقبض المعدة، ولمّا كان كذلك حظروه للغلظ والبرودة.

وأنا أظنّ في ذلك أحد أمرين، إمّا السياسة فإنّ البقر هي الحيوان الذي يخدم في الأسفار بنقل الأحمال والأثقال وفي الفلاحة بالكرب والزراعة وفي الكذخذاهيّة بالألبان وما يخرج منها، ثمّ يُنتفع بأخثائه بل في الشتاء بأنفاسه، فحرّم كما حرّمه الحجّاجُ لمّا شكى إليه خراب السواد، وحُكي لي أنّ في بعض كتبهم: أنّ الأشياء كلّها شيء واحد وفي الحظر والإباحة سواسية، وإنما تختلف بسبب العجز والقدرة، فالذئب يقتدر على حطم الشاة فهي أكلته والشاة تعجز عنه وقد صارت فريسته، ووجدت في كتبهم ما شهد بمثله إلاّ أنّ ذلك يكون للعالم بعلمه إذا حصل فيه على رتبة يستوي فيها عنده البرهمنُ و"جندال"[2]، وإذا كان كذلك استوت عنده أيضاً سائر الأشياء في الكفّ عنها، فسواء كانت كلّها حلالاً إذ هو مستغن عنها أو كانت حراماً فإنّه غير راغب فيها، فأمّا من له فيها أرب باستحواذ الجهل عليه فبعض له حلال وبعض عليه محرّم والسور بينهما مضروب.

---

[1] لم أعرف معنى جروم وربما كانت محرفة عن (حرور).
[2] البرهمن و(جندال) طبقتان من الطبقات الاجتماعية لأهل الهند.

تناسخ الأرواح

قال أبو الريحاني البيروني رحمه الله:

في حال الأرواح وتردّدها بالتناسخ في العالم:

كما أنّ الشهادة بكلمة الإخلاص شعار ايمان المسلمين والتثليث علامة النصرانيّة والاسبات علامة اليهوديّة كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها فإنهم قالوا: إنّ النفس إذا لم تكن عاقلة لم تُحِط بالمطلوب إحاطة كلّية دفعة بلا زمان واحتاجت إلى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات وهي وإن كانت متناهية فلعددها المتناهي كثرة والاتيان على الكثرة مضطرّ إلى مدّة ذات فُسحة، ولهذا لا يحصل العلم للنفس إلاّ بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال حتى يحصل لها في كل واحد تجربةٌ وتستفيد بها جديد معرفة، ولكنّ الأفعال مختلفة بسبب القوى وليس العالم بمعطّل عن التدبير وإنما هو مزموم وإلى غرض فيه مندوب فالأرواح الباقية تتردّد لذلك في الأبدان البالية بحسب افتنان الأفعال إلى الخير والشرّ ليكون التردّد في الثواب منبهاً على الخير فتحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشرّ والمكروه فتُبالغ في التباعد عنه ويصير التردّد من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه لأنّه يحتمل كليهما ويقتضي اختلافُ المراتب فيهما لاختلاف الأفاعيل بتبيان الأمزجة ومقادير الازدواجات في الكمّيّة والكيفيّة.

فهذا هو التناسخ إلى أن يحصل من كلتى جنبتي النفس والمادّة كمال الغرض أمّا من جهة السفل ففناءُ ما عند المادّة من الصورة إلاّ الاعادة المرغوب عنها وأمّا من جهة العلوّ فذهابُ شوق النفس بعلمها ما لم تعلم واستيقانُها شرف ذاتها وقوامها لا بغيرها واستغناءها عن المادة

بعد إحاطتها بخساستها وعدم البقاء في صورها والمحصول في محسوسها والخبر والانفصال والعود إلى المعدن فائزة من سعادة العلم بمثل ما يأخذه السمسم من العدد والأنوار فلا يفارق دهنه بعد ذلك ويتّحد العاقلُ والعقل والمعقول ويصير واحداً.

وحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب وما يشبهه من كلام غيرهم، قال "باسُديو لارجُن" يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فأعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه فإنّ الأرواح غير مائتة ولا متغيّرة وإنما تتردّد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقبها موت البدن ثم العَود.

وقال له: كيف ينكُرُ الموت والقتل من عرف أنّ النفس أبديّة الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يُغصّها ولا ريحُ تيبسّها لكنها تنتقل عن بدنها إذا عتُق نحو آخر ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس إذا خلُق فما غمك لنفس لا تبيد ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكلّ مولود ميّت عائد وليس لك من كلا الأمرين شيء إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور وإليه تصير، ولما قال له "أرجن" في خلال كلامه: كيف حاربت براهم في كذا وهو متقدم للعالم سابق للبشر وأنت الآن فيما بيننا منهم معلوم الميلاد والسن؟

أجابه وقال: أما قدم العهد فقد عمَّني وإياك معه فكم مرّة حيينا معاً قد عرفتُ أوقاتها وخفيت عليك وكلّما رمتُ المجيء للإصلاح لبستُ بدناً إذ لا وجه للكون مع الناس إلاّ بالتأنّس؛ وحكى عن ملك أنسيت اسمه أنّه

رسم لقومه: أن يحرقوا جثته بعد موته في موضع لم يحرق فيه ميّتٌ قط، وإنهم طلبوا موضعاً كذلك فأعياهم حتى وجدوا صخرة من ماء البحر ناتية فظنّوا أنهم ظفروا بالبغية، فقال لهم "باسديو": إنّ هذا الملك أحرق على هذه الصخرة مرّات كثيرة فافعلوا ما تريدون فإنه إنما قصد إعلامكم وقد قُضيت حاجته.

وقال "باسديو": فمن يأمل الخلاص ويجتهد في رفض الدنيا ثم لا يطاوعه قلبُه على المبتغى إنه يثاب على عمله في مجامع المثابين ولا ينال ما أراد من أجل نقصانه ولكنه يعود إلى الدنيا فيؤهل لقالب من جنس مخصوص بالزهادة ويوفقه الإلهامُ القدسّي في القالب الآخر بالتدرّج إلى ما كان إرادته[1] في القالب الأوّل ويأخذ قلبُه في مطاوعته ولا يزال يتصفى في القوالب إلى أن ينال الخلاص على توالي التوالد.

وقال باسديو: إذا تجرّدت النفس عن المادة كانت عالمة فإذا تلبّست بها كانت بكدورتها جاهلة وظنّت أنّها الفاعلة وأنّ أعمال الدنيا معدّة لأجلها فتمسكت بها وانطبعت المحسوسات فيها فإذا فارقت البدن كانت آثار المحسوسات فيها باقية فلم تنفصل عنها بالتمام وحنّت إليها وعادت نحوها وقبولُها التغايير المتضادة في تلك الأحوال يُلزمها لوازم القوى الثلاث الأولى فماذا تصنع إذا لم تُعدَّ وهي مقصوصة الجناح.

وقال أيضاً: أفضل الناس هو العالم الكامل لأنّه يحب الله ويحبه الله، وكم تكرر عليه الموت والولادة وهو في مدد عمره مواظب على طلب الكمال حتى ناله.

وفي "بشن دهرم" قول "ماركنديو" عند ذكره الروحانيّين: إنّ كل

---

[1] من ز، و في ش: إرادة.

واحـــد من "براهم" و"كارتكيو بن مهاديو" و "لكشمي" مخرج الهناءة من البحر و"دكش" الذي ضربه "مهاديو" و"أماديو" امرأة مهاديو هم في وسط هذا "الكلب" وكانوا كذلك مراراً كثيرة.

وكان "ماني" نُفي من "إيرانشهر"[1] فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته.

انـــتهى مـــا ذكره البيروني عنهم من هذه الخزعبلات الكفرية التي مرجعها إلى أوهامهم الفاسدة مثل قولهم: إن نهر الكنغ ينزل من الجنة في الســـماء ولذلك عبدوه، ثم عرفوا أنه ينبع من جبال الهملايا، وقد أوردنا ذلك لبيان تخبطهم في الضلال البعيد.

وبالنسبة للتناسخ فالهند في عهد المتكلم منهم ربما كان عدد سكانها عشـــرة ملايين والآن ألف مليون فمن أين جاءت تلك الأرواح التي زعم أنها تتردد في الأجسام؟

---

[1] ماني: زنديق ظهر في إيران وهو الذي تنسب إليه المانوية وإيران شهر: بلاد إيران لأن شهر بلاد أو مدينة.

نظام الطبقات في الهند

نظـــام الطبقات في الهند أكثر نظام للطبقات ظهوراً في العالم لمن يـــزور بلداً فيه نظام للطبقات ومن يزور الهند لابد أن يلاحظ فيرى أو يســـمع المنبوذين الذين لا يواكلهم البراهمة ولا يشاربونهم فضلاً عن أن يتزاوجوا معهم.

ومع علمنا بأن هذا قديم بل عريق في الهند عراقة ثقافتهم الهندوكية لأنـــه جـــزء منها حتى لقد قال رئيس وزراء الهند السابق: (جواهر لال نهرو): ما عرفت الهند المساواة بين بني البشر، ولا سمعت به إلاّ عند ما دخلها الإسلام.

ولابـــد لمـــن تحدث في شئون الهند أن يتحدث عن نظام الطبقات الكريه فيها.

وقـــد رأيت الباحث العبقري العلامة أبا الريحان البيروني ذكر قبل ألـــف سنة نظام الطبقات في الهند، فأحببت نقل بعض ما قاله مع ما قاله عـــالم من علماء الهند المسلمين وهو السيد عبدالحي الحسني والد السيد أبي الحسن الندوي الزعيم الديني الشهير.

قال البيروني في ذكر الطبقات التي يسمونها ألواناً ومادونها:

وقـــد كـــان الملـــوك القدماء المعنيّون بصناعتهم يصرفون مُعظم اهـــتمامهم إلـــى تصنيف الناس طبقات ومراتب يحفظونها عن التمازج والـــتهارج ويحظرون الاختلاط عليهم بسببها ويُلزمون كلّ طبقة ما إليها من عمل أو صناعة وحرفة لا يرخصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف بطبقته؛ وسيرُ أوائل الأكاسرة تفصح بذلك فلهم به آثارٌ قوية لـــم يَقدح فيه تقربٌ بخدمة ولا توسلٌ برشوة حتى إنّ "أردشير بن بابك"

عــند تجديده ملك فارس جدّد الطبقات وجعل الأساورة وأبناء الملوك في أولاهــا، والنسّــاك وســدنة النيران وأرباب الدين في ثانيتها، والأطبّاء والمنجّميــن وأصحاب العلوم في ثالثتها، والزرّاع والصنّاع في رابعها، علــى مراتــب فــي كلّ واحدة منها تميّزُ الأنواعُ في أجناسها على حدة بحــيالها، وكــل ما كان على هذا المثال صار كالنسب إن ذُكرت أوائلُه ونشــبا إن نُســيت أســبابُه وقواعــده، والنسيانُ لا محالة بتطاول الأمد وتراخي الأزمة وتكاثر القرون مقرون.

وللهــند فــي أيّامــنا مــن ذلك أوفر الحظوظ حتى إنّ مخالفتنا إيّاهم وتســويتنا بيــن الكافة إلاّ بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام، وهم يســمّون طــبقاتهم "برنُ" أي الألوان ويسمّونها من جهة النسب "جَابَكُ" أي الموالــيد، وهذه الطبقات في أوّل الأمر أربع، علياها "البراهمة" قد ذكر في كتــبهم أن خلقتهم من رأس "براهم"[1] وأنّ هذا الاسم كناية عن القوّة المسمّاة "طبــيعة" والــراس عــلاوة الحيوان فالبراهمة نقاوة الجنس ولذلك صاروا عــندهم خيرة الإنس، والطبقة التي تتلوهم "كشتر" خلقوا بزعمهم من مناكب بــراهم ويديــه ورتبــتهم من رتبة البراهمة غير متباعدة جداً ودونهم "بِش" خلقــوا مــن رجلــي براهم، وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان، وعلى تمايــزهم تجمــع المــدنُ والقــرى، أربعتهم مختلطي المساكن والدور، ثم أصــحاب المهن دون هؤلاء غير معدودين في طبقة غير الصناعة ويسمّون "انْــتَزُ" وهــم ثمانية أصناف بالحرف ويتمازجون بما يشابهها من الحرف الأخــر سوى القصّار والاسكاف والحائك فإنه لا ينحط إلى حرفتهم سائرُهم وهــم القصار والاسكاف واللعّاب ونساج الزنابيل والأترسة والسفان وصيّاد

[1] براهم هو الإله الأعظم عندهم.

السمك وقناص الوحوش والطيور والحائك فلا يساكنهم الطبقات الأربع في بلدة وإنما يأوون إلى مساكن تقربها وتكون خارجها.

وأما "هادي" و"دوم" و"جندال" و"بَدْهَتَوْ" فليسوا معدودين في شيء وإنما يشتغلون برذالات الأعمال من تنظيف القرى وخدمتها، وكلهم جنس واحد يميزون بالعمل كولد الزنا، فقد ذكر أنهم يرجعون إلى أب "شُودَر" وأمّ "برهمن" خرجوا منهما بالسفاح فهم منفيّون منحطون، ويلحق كلّ واحد من أهل الطبقات سماتٌ وألقاب بحسب فعله وطريقته كالبرهمن مثلاً فإنّ هذه سمته مطلقةً إذا لزم بيته في عمله فإذا لزم خدمة نار واحدة لقب "آيشتهى" وإذا خدم ثلاثاً من النيران فهو "آكن هُو ترى" وإذا قرب للنار مع ذلك فهو "ديكشت"، فكذلك هؤلاء إلاّ أنّ "هادي" أحمدهم لأنه يترفع عن القاذورات ويتلوه دوم لأنه يجنكي[1] ويُطرب، ومن بعدهما يترشح للقتل والعقوبات صناعةً ويتولاها وشرُّهم "بدهتو" فإنه لا يقتصر بأكل الميتة المعهودة ولكنه يتجاوزها إلى الكلاب وأمثال ذلك.

وكلّ طبقة من الأربع فإنها تصطف في المؤاكلة على حدة ولا يشتمل صفّ على نفرين مختلفي الطبقة فإن كان في صف البراهمة مثلاً نفران منهم متنافران وتقارب مجلسهما فُرق بين المجلسين بلوح يوضع فيما بينهما أو ثوب يمدّ أو شيء آخر بل إن خُطّ بينهما تمايزا، ولأنّ الفضلة من الطعام محرّمة فإنها توجب الانفراد بالمأكول لأنه إذا تناوله أحدُ المؤاكلين في قصعة واحدة صار ما بقى بتناول الآخر وانقطاع أكل الأوّل فضلة محرّمة.

فهذه حال الطبقات الأربع وقد قال "باسديو" حين سأله "آرجن" عن

---

(1) يجنكي: يضرب بالحنك، من آلات الطرب.

طـباع الطـبقات الأربع وما يجب أن يتخلقوا به من الأخلاق: يجب أن يكـون "البرهمـن" وافـر العقـل، ساكن القلب، صادق اللهجة، ظاهر الاحـتمال، ضـابطاً للحـواسّ، مؤثراً للعدل، بادي النظافة، مقبلاً على العبادة، مصروف الهمّة إلى الديانة؛ وأن يكون "كشتر" مهيباً في القلوب، شـجاعاً، مـتعظّماً، ذلـق اللسان، سمح اليد غير مُبال بالشدائد حريصاً على تيسـير الخطـوب وأن يكون "بيشُ" مشتغلاً بالفلاحة واقتناء السوائم والتجارة؛ وشـوُدرُ" مجتهداً في الخدمة والتملّق، متحبّباً إلى كلّ أحد بها؛ وكلّ من هؤلاء إذا ثبـت علـى رسـمه وعادته نال الخير في إرادته إذا كان غير مقصّر في عـبادة الله، غـير نـاسٍ ذكره في جلّ أعماله، وإذا انتقل عمّا إليه إلى ما إلى طبقة أخرى وإن شَرَفت عليه كان إثماً بالتعدّي في الأمر.

وقـال السيد عبدالحي الحسني والد السيد أبي الحسن الندوي العالم والداعي المشهور في كتابه: (الهند في العهد الإسلامي).

الهنديون وديانتهم:

أما "هندو"[1] فهم على أربعة أقسام: الاول البراهمة، ويقال لهم الكهنة أيضـاً، ولهـذا القسـم الـتقدم على بقية الأقسام في جميع الأمور، الثاني: الجـندر، ومـن هـذا القسـم الملوك والحكام، والثالث: التجار والفلاحون، والـرابع: أصحاب الصنائع والأعمال من كل نوع، وهذا القسم ينقسم أيضاً إلـى أقسـام شـتى باعتبار الصناعة والعمل، وجميع هذه الأقسام لا يختلط بعضها ببعض أصلاً، ولا يمكن لمن ولد في أحدها أن ينتقل إلى الآخر.

وأمـا ديانـتهم فهـي عبارة عن المذهب البرهمي، وآلهتم كثيرة،

---

[1] يقصد بذلك الهنادكة الذين يعتنقون الديانة الهندوكية.

أعظمها "برهم" ويزعمون أنه في الغالب نائم وتارة يستيقظ، وفي إحدى اليقظات اشتق برهما ووشنو وشيراو آلهة أخرى تبلغ نحو ثلاثمائة وثلاثين ألف ألف، وكذلك جميع دقائق الهيولي في الأرض، والشمس والقمر والنجوم، ومن عقائدهم أن الاغتسال في نهر "كنك" يطهر من الخطيئة، فهم يقصدونه من الأطراف البعيدة لهذه الغاية ويحملون من مائة إلى أقاصي بلادهم، وقد جرت عاداتهم أن يحرقوا موتاهم بالنار، وإن كان للرجل المتوفى زوجة يحرقونها معه حية، ولكن هذه العادة الرديئة أبطلها الحكم الإنكليزي، فلا تجرى إلا خفية، أو في مكان ليس تحت سلطة الإنكليز، ومن عقائدهم أنهم لا يجيزون ذبح البقرة، وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق، وهم يعظمون البقرة، ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها، ومنها أنهم لا يأكلون اللحوم البتة إلا الجنديون، ومنها أنهم لا يأكلون إلا ما طبخوه بأنفسهم أو صنعوه بأيديهم، فإن اضطروا إلى الأكل من طعام غيرهم يرخص لهم في أكل الحبوب والبقول، واللبن والسمن، ودهن السمسم، ونحو ذلك، ولا يرون بتعذيب الحيوان وذبحه، ويغتسلون للأكل كغسل الجنابة، ولا ينكحون في أقاربهم إلا فيمن كان بينهم وبينه سبعة أجداد، وأن لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في آنيتهم، فإن طعم فيها كسروها، أو أعطوها للمسلمين، فإن طبخوا له الطعام صبوه على أوراق الموز، وصبوا عليه الإدام، وما فضل عنه تأكله الكلاب، والطير.

اللغة:

اللغات في الهند كثيرة متعددة تصل إلى أكثر من مائتي لغة، ولكن

الشـــخص الغريـــب الذي يصل إلى الهند لا يجد صعوبة في التفاهم مع الناس بالإنكليزية لأنها لغة الثقافة، والتعليم في عموم الهند ولأنه لم تكن توجد لغة واحدة موحدة لأهل الهند كلهم.

أمـــا أشهر اللغات أو أكثرها استعمالاً في الهند لعامة الشعب فإنها كانـــت (الأوردية) وتسمى لغة (الأردو) والأردو هو المعسكر وذلك فيما قـــيل إنهـــا نشأت في معسكر أحد ملوك المغول أو أكثر من ملك منهم حيـــث كانت نتيجة اختلاط عدد من اللغات باللغة السنسكريتية التي هي اللغة القديمة في الهند وذلك أن فيها الكثير من العربية والفارسية.

وظني أن هذا ليس بذاك وأنه لا يمكن أن تنشأ لغة بهذا الحجم من الكلمـــات وفيها الاستعارات والتشبيهات المجازية نتيجة اختلاط جنود في المعسكر، وإنما ذلك كانت نتيجة طبيعية، فاللغة الفارسية كانت لغة الثقافة فـــيما وراء الـــنهر بخاصـــة بـــلاد الأفغان الذين كان منهم فاتحو الهند، والفارسية نفسها فيها الكثير من الألفاظ العربية وبخاصة المصادر، واللغة العربـــية هـــي لغـــة الدين والثقافة الدينية، وكانت لغة الثقافة الأولى في العصر العباسي وما بعده بقليل حتى في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر، لذلـــك دخلـــت إلى الهند مع الفاتحين ومع رجال العلم، ونتيجة لذلك كله وجدت اللغة الأوردية التي كانت تسمى في أول الأمر باللغة الهندية.

وعـــندما اســـتقلت الهند في عام ١٩٤٧م كانت الأوردية هي اللغة الأولى بين اللغات الموجودة في الهند ولكن الحكومة الهندية رسمت خطة لإحـــلال اللغـــة الهندية التي أخذت من اللغة السنسكريتية التي هي لغة الـــثقافة القديمـــة في الهند آلاف الكلمات أدخلتها بديلة للأردية في البلاد حتى صار كثير من الناس وبخاصة من الهنادكة يعتبرونها اللغة الوطنية،

وهجروا (الأردية) واسمها (الهندي) مع أن الفروق التي بينها وبين لغة (الأردو) ليســت كبيرة وإذا سمع الشخص الذي لا يعرفها من يتكلم بها ظنه يتكلم الأوردية.

على أن هذه اللغة (الهندية) ليست معروفة حتى الآن ولا مستعملة فــي مــناطق عديدة في جنوب الهند مثل ولايات (تامل نادو) و(كيرالا) و(كرناتك) فكل ولاية من هذه الولايات لها لغتها الوطنية الخاصة.

وقد فوجئت عندما كنت في مدينة مدراس التي هي المدينة الرابعة فــي الهند من حيث عدد السكان بعد كلكتا ودلهي وبومبي على الترتيب فسمعت مكبرات الصوت في مطارها لا تتكلم باللغة الهندية وإنما تستعمل اللغة الإنكليزية وأحياناً معها (التاملية) التي هي لغة (تامل نادو).

ومــثل ذلــك يقال في ولاية كيرالا التي تتكلم بلغة (مالا يالم) التي اسماها بعضهم تظرفاً لغة (مالا يعِلم).

وهذا الكلام على اللغات هو بالنسبة للمتعلمين وأشباههم، أما العامة وغــير المتعلميــن من أهل الهند فإن كل واحد منهم لا يعرف إلا اللغة الشائعة في الولاية أو المنطقة التي يعيش فيها.

وأذكــر أننا كنا مرة مسافرين من مدينة (كاليكوت) في جنوب الهند إلى مديــنة بــنقلور عاصــمة ولاية (كرناتك) وهي تتكلم بلغة كَنَّرا فوجدنا رجلاً ريفــياً يبــيع شــيئاً من الخضرات على الطريق وكان معنا من أهل كيرلا من يــتكلم (مــالا يالم) والتاملية والأوردية والإنكليزية فلم يعرف الرجل شيئاً من هــذه اللغــات وكــنا بحاجة إلى شراء شيء مما عنده فاضطررنا أن نستنجد بشخص مر بسيارته وأشرنا إليه فتفاهمنا معه بالإنكليزية.

قال الشيخ سليمان الندوي في كتابه (تاريخ الصلات بين البلدان العربية والهند):

أثر الثقافة العربية في تكوين اللغة الأوردية في هذا العصر:

طوال عصر المماليك كانت تسمى : "لغة بالي براكرت" باللغة الهندية، إلاّ أنها في العصر المغولي اتخذت لنفسها شكلاً خاصاً وراجت رواجاً عاماً بين الناس حتى صارت لغة التفاهم والأدب والشعر في أنحاء الهند، وكانت هذه اللغة تسمى بأسماء كثيرة حسب أطوارها المختلفة مثل براكرت وبرج بهاشا ثم الهندوستانية أو الأردية، وفي العصر المغولي بنى الملك "أكبر" ثالث ملوك المغول- قصراً كبيراً وأنشأ فيه سوقاً كبيرة حيث كانت تتردد الملكات والأميرات والنساء الفارسيات والتركيات ونساء الهنديات، وهذا الاتصال والالتقاء كان السبب في أن تستمد "بالي براكرت" الكلمات الفارسية والتركية والعربية وتعبيراتها ومفاهيمها، وكذلك أنشأ "أكبر" معسكراً كبيراً اجتمع فيه أجناس مختلفة من الناس مثل الهنود والعرب والفرس والأتراك والمغول وغيرهم، وهذه الظاهرة هي الأخرى ساعدت على أن تتجاوب هذه اللغة مع اللغات الثلاث المذكورة وتستمد منها الكلمات والتعبيرات.

ولم يتجاوز هذا التفاعل والتجارب حدود الكلمات والتعبيرات لأن "براكرت" أو "برج بهاشا" لم تفقد أصالتها وهيكلها الآري السنسكريتي من حيث القواعد أو هندسة التركيب.

ثم زاد هذا التفاعل على مرور العصور حتى لم يكد يصل عصر "أورنجزيب عالمكير"- أعظم ملك مغلولي وآخرهم قوة ومجداً- حتى

ترجمت إليها كتب كثيرة فارسية مثل "منطق الطير للشيخ فريد الدين العطار"، ثم ظهر في هذه اللغة أعظم شاعر وهو "ولي الدكني" الذي خلّف لنا ديواناً كبيراً وأبياتاً كثيرة لا تزال ترددها ألسنة الأدباء والشعراء، وبهذا خطت هذه اللغة خطوات حثيثة نحو التقدم والازدهار حتى أصبحت من أشهر وأكبر لغات العالم إذ ينطق بها ملايين الناس في الهند وباكستان.

وفيما يتعلق بهذه اللغة ينبغي لنا أن نذكر ظاهرتين هامتين:

أولاهما: أنه قد استمدت هذه اللغة فيما بعد كلمات عربية وفارسية لا حد لها دون أن تتخذ لنفسها أصولاً ومنهاجاً لاستعارة الكلمات الجديدة، فكانت اللغة العربية والفارسية قدوة لها في معظم الأحيان، ولذلك طغت عليها الكلمات العربية والفارسية، كما استمدت أيضاً الحروف العربية والفارسية وهذه هي الأردية.

والثانية: قد اتخذت هذه اللغة التي كان يتكلم بها الهندوس منهاجاً وأصولاً لها تستمد بموجبها الكلمات الجديدة وتصريف الأسماء وتستعير المفردات تبعاً لمقتضياتها، وهذه اللغة قد سميت بالهندية الآن والتي تواجه الهند مشكلات لا حد لها في اتخاذها اللغة الرسمية في أنحاء الهند، وما زلنا نجد في اللغتين فرقاً بسيطاً جداً والتقارب والتشابه صار قوياً جداً، وإذا وجدت في اللغة الهندية الكلمات العربية والفارسية بنسبة الثلث فالباقي من الكلمات السنسكريتية التي نبشت من مرقدها، أما الأردية فتحتوي على مقدار الثلثين من الكلمات العربية والفارسية والثلث وحده من الكلمات السنسكريتية وغيرها من الكلمات.

وفي ختام البحث للعصر المغولي ينبغي لنا القول بأنه عصر

ازدهـــار للعلـــوم والمعارف بدون نزاع، وكذلك أزدهرت العلوم العربية وتقدمت تقدماً ملحوظاً حينما ترجمت أمهات الكتب العربية إلى الفارسية ودوّن الفقه الإسلامي وألّفت كتب قيمة- رغم وجود الضعف في المنهج والأسـلوب- مــثل مسلّم الثبوت في الأصول لحجة الله البالغة في فلسفة التشــريع الإســلامي، وكتــب قيمة في السنة النبوية للشيخ على المتقي والشــيخ محمد بن طاهر الفتني والشيخ عبدالحق الدهلوي والإمام الشاه ولــي الله الدهلوي، كما برز في مجال المعاجم العربية عبدرب النبي بن عــبدرب الرســول ومحمــد علي التهانوي اللذان ألفّا أشهر المعاجم في مصطلحات العلوم والفنون.

انتهى كلامه.

وقـــال أبـــو الريحاني البيروني في أول كتابه (تحقيق ما للهند من مقولـــة) إن القـــوم- يعني أهل الهند- تباين بجميع ما تشترك فيه الأمم وأولهـــا اللغة وإن تباينت الأمم بمثلها ومتى رامها أحد لإزالة المباينة لم يســـهل ذلـــك لأنها في ذاتها طويلة عريضة تشابه العربية يسمى الشيء الواحد فيها بعدة أسامٍ مقتضبة ومشتقة.

وبوقـــوع الاسم الواحد على عدة مسميات محوجة في المقاصد إلى زيادة صفات إذْ لا يفرق بينها إلا ذو فطنة لموضع الكلام، وقياس المعنى إلى الوراء والإمام.

ثـــم هـــي منقسمة إلى مبتذل لا ينتفع به إلا السوقة، وإلى مصون فصـــيح يتعلق بالتصاريف والاستئناف ودقائق النحو والبلاغة، لا يرجع إليه غير الفضلاء المهرة، ثم مركبة من حروف لا يطابق بعضها حروف العربية والفارسية ولا تشابهها، بل لا تكاد السنتنا ولهواتنا تنقاد لإخراجها

علـــى حقيقة مخارجها، ولا آذاننا تسمح بتمييزها من نظائرها وأشباهها، ولا أيديـــنا في الكتبة لحكايتها، فيتعذر بذلك إثبات شيء من لغتهم بخطنا لمــا نضطر إليه من الاحتيال لضبطها بتغيير النقط والعلامات وتقييدها بإعراب إما مشهور وإما معمول.

ويكفيك معرفاً أنّا ربما تلقفنا من أفواههم اسما واجتهدنا في التوثقة منه، فإذا أعدناه عليهم لم يكادوا يعرفونه إلاّ بجهد.

قال أبوالريحاني البيروني: ويجتمع في لغتهم- أي أهل الهند- كما يجــتمع فـــي سائر لغات العجم حرفان ساكنان وثلاثة وهي التي يسميها أصـــحابنا متحركات بحركات خفية، ويصعب علينا التفوه بأكثر كلماتها وأسمائها لافتتاحها بالسواكن.

وقال السيد عبدالحي الحسني في كتابه (الهند في العهد الإسلامي):

أمـــا لغاتهم- أي الهنود- فهي على نحو سبع وأربعين ومائة لغة، وهي متفرعة من أصلين: أحدهما "سنسكرت" وهذه اللغة لا يتكلمون بها ولكـــن كتـــب علومهم الدينية مكتوبة بها، ومن فروعها "بنكلة" و"بهاشا" و"اريا" و"الكجراتي" و"المرهتي" و"البنجابي" و"أردو" وغيرها، أما "أردو" فهي متركبة من اللغات الهندية والفارسية والعربية، غالباً تكتب بالحروف العربـــي علـــى شـــكل الخط الفارسي، وهي شائعة في أكثر بلاد الهند، والثانـــية لغـــة الهند الأصلية، ومن فروعها "تامل" و"التلنكي" و"الكنَّري" و"ملايـــالم" وغـــيرها، وهي شائعة في البلاد الجنوبية، وهذه لغات أهالي الهند الأصلية، و"تامل" و"التلنكي" لا يقصران عن "سنسكرت" في الحكمة والأدب والشعر.

دخول الإسلام إلى الهند

لدينا مراجع عديدة متوافرة باللغة العربية عن كيفية دخول الإسلام إلى الهند وإن ذلك كان في وقت مبكر أي أثناء إمارة الحجاج بن يوسف على العراق في آخر القرن الأول، ولكن ذلك اقتصر على منطقة السند، ثم دخل الإسلام بقوة وعزم وجهود عظيمة بذلها المسلمون وبخاصة الملك المجاهد محمود بن سبكتكين وأبناءه وأقاربه من خلفائه، وكانت عاصمته (غزنة) في أفغانستان الآن.

ولم يكن ذلك بالأمر السهل بل تطلب من المسلمين الغزوات تلو الغزوات قدموا فيها الشهداء وبذلوا الأموال والأنفس في سبيل الله.

وقد رأيت توفيراً للجهد والوقت ومن أجل توثيق الكلام أن ألخص بعض ما ذكره السيد عبدالحي الحسني والد السيد (أبوالحسن الندوي) الزعيم الديني والداعية الكبير في كتابه (الهند في العهد الإسلامي) كما أسماه بذلك السيد أبوالحسن وطبع بإشرافه في الهند.

فالمؤلف السيد عبدالحي كتب كتابه بالعربية لأنه عالم بالعربية متشبع بآدابها مطلع على ما ورد في موضوع دخول الإسلام إلى الهند في المراجع العربية وذكر أنه لم يقتصر على ذلك وإنما رجع إلى مراجع بالفارسية والأوردية اللتين كان يحسنهما.

وهذا ملخص لما جاء في كلامه:

قال تحت عنوان (ظهور الإسلام بأرض الهند):

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان في سنة ٥ هجرية، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فبعث جيشاً إلى "تانه"، فلما رجع الجيش

كتب إلى عمر يعلمه ذلك، فكتب إليه عمر "يا أخا ثقيف! حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لآخذن من قومك مثلهم".

ووجه الحكم أيضاً إلى "بروص" ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خور الديبل، فلقي العدو فظفر.

فلما ولى عثمان بن عفان رضي الله عنه وولى عبدالله بن عامر بن كريز "العراق"، كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي، فلما رجع أوفده إلى عثمان، فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين! قد عرفتها وتنحرتها، قال: فصفها لي، قال: ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابر أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يغزها أحداً.

فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن أبي مرة العبدي متطوعاً بإذن علي، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً، وقسم في يوم واحد ألف رأس، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً، وكان مقتله في سنة اثنتين وأربعين والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان.

ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية رضي الله عنه سنة أربع وأربعين، فأتى "بنه" و"الأهواز" وهما بين "ملتان" و"كابل" فلقيه العدو فقاتله ومن معه، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة، فقاتلوه فقتلوا جميعاً.

ثم ولى عبدالله بن عامر في زمن معاوية بن أي سفيان عبدالله بن

سواد العبدي، ويقال: ولاه معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فأصاب مغنماً، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية، وأقام عنده، ثم رجع إلى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه.

وولي زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، فأتى الثغر، ففتح مكران عنوة ومصرها، وأقام بها وضبط البلاد، وقيل إن الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدي، ثم استعمل زياد على ثغر الهند راشد بن عمرو الجديدي من الأزد، فأتى مكران، ثم غزا القيقان فظفر، ثم غزا الميد، فقتل وقام بأمر الناس سنان بن سلمة، فولاه زياد الثغر، فأقام به سنتين، وغزا عباد بن زياد ثغر الهند من سجستان، فأتى "سناروذ" ثم أخذ على حوى كهزالي "الروذبار" من أرض سجستان إلى "الهندمند" فنزل "كش" وقطع المفازة حتى "القندهار" فقاتل أهلها فهزمهم وفلهم، وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين.

ورأى قلانس أهلها طوالاً، فعلم عليها فسميت العبادية، ثم ولي زياد المنذر بن الجارود العبدي، ويكنى أبا الأشعث ثغر الهند، فغزا البوقان والقيقان، فظفر المسلمون وغنموا، وبث السرايا في بلادهم وفتح "قصدار"، وسبي بها، وكان سنان فتحها إلا أن أهلها انتقضوا وبها مات.

ثم ولى عبيد الله بن زياد ابن حري الباهلي، ففتح الله تلك البلاد على يده وقاتل بها قتالاً شديداً، فظفر وغنم، وقال قوم: إن عبيدالله بن زياد ولى سنان بن سلمة، وكان ابنَ حري على سراياه وأسلم أهل البوقان.

وقد بنىعمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بها مدينة سماها البيضاء، وذلك في خلافة المعتصم بالله، ولما ولى حجاج بن

يوسف الثقفي العراق ولى سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي مكران وذلك الثغر، فخرج عليه معاوية ومحمد أبنا الحارث العلافيان، فقتل وغلب العلافيان على الثغر، فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمي ذلك الثغر، فغزا مجاعة فغنم وفتح طوائف من "قندابيل"، ثم أتم فتحها محمد بن القاسم ومات "مجاعة" بعد سنة بمكران.

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمري فأهدى إلى الحجاج في ولايته ملك جزيرة الياقوت نسوة ولدن في بلاده مسلمات، ثم ولى الحجاج محمد بن قاسم الثقفي في أيام الوليد بن عبدالملك فغزا السند، وكان محمد بفارس، وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج، فنقع في الخل الحاذق، ثم جفف في الظل، فقال: إذا صرتم إلى السند فإن الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن في الماء، ثم اطبخوا به واصطبغوا[1]، ويقال: إن محمداً لما صار إلى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم، فبعث إليه بالقطن المنقوع في الخل، فسار محمد بن القاسم إلى مكران، فأقام بها أياماً، ثم أتى قنزبور ففتحها، ثم سار محمد بن القاسم إلى أرمائيل ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس، وكان يمد فيها خمسمائة رجل، وكان بالديبل بد[2] عظيم (بتخانه) فيما ذكروا منارة عظيمة تتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم، أو أصنام يشتهر بها، وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً، وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبلها، واستطلاع رأيه، فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام، فورد على محمد من الحجاج كتاب أن انصب العروس، واقصر منها قائمة، ولتكن مما يلي المشرق، ثم ادع صاحبها، فمره أن

---

(1) اصطبغوا: أئتدموا، أي اجعلوه إداما.
(2) البد: بيت العبادة للبوذيين وربما أريد به هنا مجرد بيت العبادة للكفار.

يقصد برميته للدقل[1] الذي وصفت لي، فرمى الدقل فكسر، فاشتد طرة الكفر من ذلك، ثم إن محمداً ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم، وأمر بالسلاليم فوضعت، وصعد عليها الرجال، وقتل سادن بيت آلهتهم، واختط محمد للمسلمين بها وبني مسجداً، وأنزلها أربعة آلاف، ثم أتى محمد بن القاسم البيرون، وكان أهلها بعثوا سمنيين[2] منهم إلى الحجاج، فصالحوه فأقاموا لمحمد العلوفة، وأدخلوه مدينتهم ووفوا بالصلح، وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها، حتى عبر نهراً دون مهران.

ثم إن محمداً احتال لعبور نهر مهران، حتى عبره مما يلي بلاد راسل ملك قصة (معرب كجه) من الهند على جسر عقده الملك وداهر ملك المنطقة الهندوكي مستخف به، ولاهٍ عنه، ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل، وحوله الفيلة ومعه التكاكرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، وترجل داهر وقاتل، فقتل عند المساء وانهزم الهنادك فقتلهم المسلمون كيف شاؤا، ولما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند.

ثم أتى محمد بن القاسم برهمناباد العتيقة، وهي على رأس فرسخين من المنصورة، ولم تكن المنصورة يومئذ، إنما كان موضعها غيضة، وكان فل داهر ببرهمناباد هذه، فقاتلوا عامله وهي اليوم خراب، وسار وانتهى محمد إلى الرور وهي من مدائن السند، وهي على جبل، فحصرهم أشهرا، ففتحها صلحاً على أن لا يقتلهم ولا يعرض لكنائسهم[3]، ووضع عليهم الخراج بالرور وبنى مسجداً، وسار محمد إلى السكه، وهي مدينةدون بياس ففتحها، ثم قطع نهر بياس إلى الملتان، فقاتله أهل الملتان

---

[1] الدقل: عمود السفينة الذي يوضع فيه شراعها.

[2] السمنيون هم الذين يعتقدون بمذهب السمنية، قيل هو البوذية وقيل هو قريب منها.

[3] يريد معابدهم وإلا فإنهم لم يكونوا على الدين المسيحي.

فـأبلى زائـدة بـن عمـير الطائـي، وانهزم المشركون فدخلوا المدينة وحصرهم محمد، ونفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر[1]، ثم أتاهم رجل مسـتأمن، فدلهم على مدخل الماء الذي منه شربهم، وهو ماء يجري من نهـر "بسمد" فيصير في مجتمع له مثل البركة في المدينة، وهم يسمونه التلاح، فغوّره، فلما عطشوا نزلوا على الحكم.

وأصاب المسلمون ذهباً كثيراً، فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثمان أذرع، يلقى ما أودعه في كوة مفتوحة في سطحه، فسميت الملتان فرج بيت الذهب، والفرج الثغر.

قالوا: ونظر الحجاج فإذا هو أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألـف، ووجـد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف، فقال: شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا، وأزددنا ستين ألف ألف درهم، ورأس داهر (ملك السند).

فلمـا كـان أول الدولة العباسية ولي أبومسلم عبدالرحمن بن مسلم الخراسـاني مغلساً العبدي ثغر السند، وسار حتى صار إلى منصور بن جمهـور الكلبـي وهو بالسند، فلقيه منصور فقتله وهزم جنده، فلما بلغ أبامسـلم ذلـك عقد لموسى بن كعب التميمي ثم وجهه إلى السند، فلما قدمهـا كـان بينه وبين منصور مهران، ثم التقيا فهزم منصوراً وجيشه وقـتل مـنظوراً أخاه، وولي موسى السند سنة أربع وثلاثين ومائة، فرمّ المنصـورة وزاد فـي مسـجدها، وغـزا وافتتح ثم سار إلى العراق، واستخلف ابنه عيينة بن موسى على أرض السند، ومات موسى بالعراق بعـد ذلـك فخلـع عيينة الطاعة، فلما بلغ الخبر إلى المنصور العباسي

---

[1] الحَمر: جمع حمار.

الخليفة سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفراء العتكى عاملاً على السند والهند، فحاربه عيينة، فسار حتى ورد السند فغلب عليها سنة اثنتين وأربعين ومائة.

ثم توالى الولاة على السند وما حولها وجرت عليهم خطوب كثيرة كانوا يقاتلون من نقض الهند أو ارتد عن الإسلام من ملوكها أو من تقاعس من ولاتها، وهي حوادث ذات عبر عظيمة في الصبر والمصابرة واستسهال الصعب في تثبيت راية الإسلام في السند وما حوله.

ثم قال السيد عبدالحي الحسني تحت عنوان: استيلاء الملوك الغزنوية والغورية على الهند:

لما استولى الأمير سبكتكين على خراسان بعد أن توفى أبو إسحاق ابن ألبتكين صاحب جيش غزنة السامانية، واتفق الناس عليه سنة ست وستين وثلاثمائة، ساس أمورهم سياسة حسنة، وسار نحو الهند سنة سبع وستين فافتتح قلاعاً حصينة على شواهق الجبال، وبنى المساجد بها، و عاد إلى غزنة سالماً وظافراً.

وولى الملك بعده ابنه محمود بن سبكستكين سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، واشتغل بأمر خراسان فثنى عنانه نحو الهند ودخل الهند سبع عشرة مرة، وجاس البلاد وغنم أموالاً، فمنها أنه قصد الهند سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وأقام على مدينة بيشاور فأتاه جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة، فاختار محمود من عساكره والمتطوعة خمسة عشر ألفاً وسار نحوه، فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان، فلما انتصف النهار انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من

أهله وعشيرته، وغنم المسلمون منهم أموالاً جليلة وجواهر نفيسة.

ثـم سـار نحو "ويهند" فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً، وبلغـه أن جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد، فسير إليهم طائفة من عسكره، فأوقعوا بهم، وأكثروا القتل فـيهم، ولم ينج منهم إلا الشريد الفريد، وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

ثم غزا بهاطية من أعمال السند، وهي وراء ملتان سنة ثلاث وقيل خمـس وتسـعين وثلاثمائة، وهي مدينة حصينة عالية السور، يحيط بها خـندق عمـيق، فامتـنع صـاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسـلمين ثلاثـة أيـام، ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصـحابه، فسـبقهم المسـلمون إلى باب البلد، فملكوه عليهم وأخذتهم السـيوف من بين أيديهم ومن خلفهم، واقام محمود بهاطية، حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه.

ثـم في سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا ملتان وقصد صاحبها أبا الفـتح داود بـن نصير بن حميد القرمطي الملتاني، الذي نقل عنه خبث اعـتقاده ونسب إلى مذهب القرامطة، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو علـيه فأجـابوه، فرأى محمود أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه، فسار نحوه فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة، عظيمة المد، وخاصة سيحون، فإنه منع جانبه من العبور، فأرسل الملك إلى أنندبال يطلب إليه أن يـأذن له في العبور ببلاده إلى ملتان فلم يجبه إلى ذلك، فابتدأ به قبل

ملتان وقال: نجمع بين غزوتين، فدخل بلاده وجاسها، وأكثر القتل فيها، ففــر أنــندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان، من مضيق إلى مضيق، إلى أن وصل إلى كشمير، ولما سمع أبوالفتح بخبر إقباله إليه، علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه، فنقل أمواله إلــى كشــمير وأخلى ملتان، فوصل محمود إليها ونازلها فإذا أهلها في ضلالهم يعمهون، فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين ألف ألف درهم عقوبة لعصيانهم.

وســمع محمــود في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة أن سكهبال أحد ملوك الهند أرتد عن الإسلام، وكان قد أسلم على يده قبل ذلك وكان أمره على ويهند فسار إيه مجداً، فحين قاربه فر الهندي من بين يديه، واستعاد محمــود تلــك الولاية وأعادها إلى حكم الإسلام، واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد إلى غزنة واستراح هو وعساكره.

ثــم اســتعد لغزوة أخرى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، فسار نحو الهــند فانتهى إلى شاطئ نهر هندمند، فلاقاه هناك برهمن بال بن أنندبال فــي جــيوش الهند فاقتتلوا ساعات من النهار، وكاد المشركون يظفرون بالمســلمين، ثم إن الله تعالى جاء بالنصر فظفر بهم المسلمون فانهزموا علــى أعقــابهم وأخذهم المسلمون بالسيف، وتبع محمود أثر برهمن بال حــتى بلغ نركركوت، وكانت علىجبل عالٍ وكان المشركون قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم فينقلون إليها أنواع الذخائر قرناً بعد قرن وأعلاق الجواهر، وهم يعتقدون ذلك ديناً وعبادة، فاجتمع فيها على طول الأزمان مــا لــم يســمع بمــثله، فــنازلهم محمود وحصرهم وقاتلهم، فلما رأى المشــركون كــثرة جمعــه وحرصهم على القتال وزحفهم إليه مرة بعد

أخـــرى، فخـــافوا وجبـــنوا وطلـــبوا الأمان وفتحوا باب الحصن وملك المســـلمون القلعة وصعد محمود إليها في خواص أصحابه وثقاته، فأخذ منها من الجواهر ما لا يحد ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية، ومـــن الأوانـــي الذهبية والفضية سبعمائة ألف وأربعمائة منٍّ، وكان فيها بيـــت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً، إلى غير ذلك من الأمتعة، وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم.

وســـار نحـــو الهند سنة أربعمائة عازماً على غزوها، فسار إليها واخترقها واستباحها ونكس أصنامها، فلما رأى ملك الهند أنه لا قوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلاً، وأن يكون له في خدمـــته ألفا فارس لا يزالون، فقبض منه ما بذله، وعاد عنه إلى غزنة، وتتابعـــت القوافـــل بين خراسان وبلاد الهند في ضمان الأمان والرفاهية والاطمئنان، وتسمى هذه الغزوة بوقعة نارائن.

ثم سار إلى الهند سنة أربع وأربعمائة في جمع عظيم وحشد كثير، وقصـــد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب أصـــحابه وعســـاكره، فســـمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده وأصـــحابه وبرز إلى جبل هناك، صعب المرتقى ضيق المسالك، احتمى بـــه وطـــاول المسلمين، وكتب إلى المشركين يستدعيهم من كل ناحية، واجـــتمع علـــيه منهم كل من يحمل سلاحاً، فلما تكاملت عدته نزل من الجـــبل، وتصـــاف هو والمسلمون، واشتد القتال وعظم الأمر، ثم إن الله تعـــالى منح المسلمين أكتافهم، فهزموهم وأكثروا القتل فيهم، وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك، وتسمى هذه الغزوة بفتح ناردين، وكانت قلعة ناردين على جبل بالناتهه.

ثم سار إلى الهند سنة خمس وأربعمائة، وعزم على غزوة تهانيسر، فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر، وعرة المسالك، وقفاراً فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكناف، والماء بها قليل، فلقوا شدة، وقاسوا مشقة، إلى أن قطعوها، فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهراً شديد الجرية، صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه، يمنع من عبوره، ومعه عساكره وفيلته، فأمر محمود شجعان عسكره عبور النهر واشغال الكافر بالقتال، ليتمكن باقي العسكر من العبور، ففعلوا ذلك وقاتلوا المشركين وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات و قاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم المشركون وظفر المسلمون، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة، وكان فيها معبد للمشركين من أعظم المعابد، فهدمه وأخذ الجواهر النفيسة والذهب والفضة وغيرها من الأموال الطائلة.

ثم رجع إلى غزنة وسار نحو الهند على عادته سنة ست وأربعمائة، فضل أدلاؤه الطريق، ووقع هو وعسكره في مياه فائضة فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلص وعاد إلى خراسان، وقيل إنه سار إلى كشمير وحاصر قلعة "لوه كوث" مدة من الزمان واضطر الناس ممن يلازم ركابه من البرد والثلج إلى ترك المحاصرة فرجع إلى غزنة.

ثم سار نحو الهند على عادته سنة سبع وأربعمائة، عازماً على غزو كشمير إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين كشمير، وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد، وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيراً دائماً، وعبر نهر "سيحون" و"جيلم" وهما

نهـــران عميقان شديدا الجرية، فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبـــذل الإتـــاوة، فلما بلغ درب كشمير أتاه صاحبها وسار بين يديه يريد قنوج ففـــتح مـــا حولهـــا مـــن الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن قـــنوج، وكان حصنها منيعاً عالياً لا يكاد أن يفتح ولكن الله سبحانه ألقى الرعب في قلب صاحبها فخرج في نحو عشرة آلاف يطلب الأمان فقبله محمود.

ثم سار محمود بعد ثلاثة أيام إلى حصن "ميرت" وصاحبها هروت لمـــا علـــم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه سلم الحصن إلى بعـــض أصـــحابه وخرج منها فوصل محمود إليها ونازلها وتابع القتال وضـــيق علـــيهم فأرسلوا إليه يطلبون الأمان، فقبله وأخذ منهم الأموال الطائلة، ثم سار إلى حصن مهاون، كان على شاطئ نهر جمنا، وصاحبها كلجـــند كـــان من أعيان الهند، وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر الســـالك على قطعها إلا بمشقة، فسيَّر كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض، يمنعون من سلوكها، فترك محمود عليهم من يقاتلهم وسلك طريقاً إلى الحصن، فلم يشعروا به إلا وهو معهم، فقاتلهم قتالاً شديداً، فلم يطـــيقوا الصـــبر على حد السيوف فانهزموا، وأخذهم السيف من خلفهم ولقـــوا نهـــراً عمـــيقاً بين أيديهم فاقتحموه، فغرق أكثرهم، وكان القتلى والغرقى قريباً من خمسين ألفاً.

ثـــم سار إلى متهرا مولد كرشن، وكان فيها معبد للمشركين، من الأبنية على نهر جمنا، ولهم به من الأصنام كثير، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر، وكان فيها من الذهب ستمائة وتسعون ألفـــاً وثلاثمائـــة مثقال، وكان بها من الأصنام المصوغة من الفضة نحو مائتـــي صـــنم، فأخذ جميعه وأحرق الباقي وسار بعد عشرين يوماً إلى

حصون غير ما ذكرناه، فرأى أن صاحبها راجبال قد فارقها وعبر الماء المسمى بكنك[1] فأخذها محمود، وهي سبع على الماء المذكور، وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم.

ثم سار إلى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا، فلما عضهم السلاح عرفوا أنهم لا طاقة لهم، فاستسلموا للسيف، فقتلوا ولم ينج منهم إلا الشريد.

ثم نحو قلعة آسي، وصاحبها جندبال، فلما قاربها هرب جندبال، وأخذ محمود حصنه وما فيه، ثم سار إلى قلعة شروه، وصاحبها جند راي، فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها، وعمى خبره فلم يدر أين هو، فنازل محمود حصنه، فافتتحه وغنم ما فيه، وسار في طلب جندراي جريدة[2] وقد بلغه خبره، فلحق به فقاتله، فقتل أكثر جنده وأسر كثيراً منهم، وغنم ما معه من مال وفيل، وهرب جندراي في نفر من أصحابه فنجا.

وفي سنة تسع وأربعمائة سار إلى الهند غازياً واحتشد وجمع واستعد وأعد أكثر مما تقدم، وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وأطاه صاحبها ثم عاد إلى غزنة أرسل ننداً ملك "كالنجر" إلى كوره ملك قنوج يوبخه على انهزامه وإسلام بلاده للمسلمين، وطال الكلام بينهما، وآل أمرهما إلى الاختلاف، وتأهب كل واحد منهما لصاحبه وسار إليه، فالتقوا واقتتلوا فقتل راجبال وأتى القتل على أكثر جنوده، فازداد ننداً بما اتفق له شراً وعتوا، وقصده بعض ملوك الهند الذين ملك محمود بلادهم، والتجأ إليه فوعده بإعادة ملكه إليه، فنمت هذه الأخبار إلى محمود فأزعجته،

---

[1] يريد نهر الكنج أو (قانقا).
[2] جريدة يعني في الخفيف من الفرسان والركبان من العسكر، دون الأمتعة والأتباع.

وتجهز للغزو وقصد كالنجر، وسار عن غزنة ، ثم أستقل على المسير، وعبر نهر كنك، فلما جازه رأى قوافل قد بلغت عدة أحمالهم ألفا فغنمها، وهي من العود والأمتعة فائقة، وجدّ به السير فأتاه في الطريق خبر حفيد جيبال الذي تقدم ذكره، سار بين يديه ملتجئاً إلى نندا فطوى المراحل ولحق به، وكان بينه وبين المشركين نهر عميق، فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال، ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم، فاقتتلوا عامة نهارهم، وانهزم حفيد جيبال ومن معه، وكثر فيهم القتل والأسر، وأسلموا أموالهم، وأهليهم، فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر، وأخذ ما يزيد على مائتي فيل، وسار المسلمون يقتفون آثارهم، وانهزم ملكهم جريحاً وتحير في أمره وأرسل إلى محمود يطلب الأمان فلم يؤمنه، وقتل من عساكره ما لا يحصى، وسار الملك المذكور ليلحق بنندا، فانفرد به بعض المشركين فقتله.

فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم إلى محمود يبذلون له الطاعة، وسار محمود بعد هذه الواقعة إلى بارى، وهي من أحصن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية، فأمر بهدمها وتخريبها، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسار يطلب نندا فلحقه، وقد نزل إلى جانب نهر، وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلا، وترك عن يمينه وشماله طريقاً يبساً يقاتل منه إذا أراد القتال، وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس، ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل، وسبعمائة وستة وأربعين فيلاً، فأرسل محمود طائفة من عسكره للقتال فأخرج إليهم نندا مثلهم، ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل، وحجز بينهم، فلما كان

الغـــد بكر محمود إليهم، فرأى الديار منهم بلاقع، وركب كل فرقة منهم طريقاً مخالفاً لطريق الأخرى ووجد خزائن الأموال والسلاح بحالها، فغنم الجميع واقتفى آثار المنهزمين، فلحقهم في الغياض والآجام، وأكثر فيهم القتل والأسر، ونجا "ننندا" فريداً وحيداً، وعاد محمود إلى غزنة.

ثـــم قـــدم السلطان محمـــود بن سبكتكين الهند سنة اثنتي عشرة وأربعمائـــة عازمـــاً على الغزو، فقصد كشمير وحاصر قلعة "لوه كوث" وأدام الحصار شهراً كاملاً، وضيق عليهم واستمر القتال، ثم استيأس من الفتح، ورجع إلى لاهور، فسير جيوشه إلى ناحيتها، فغنم المسلمون كثيراً مـــن المال، ولما رأى حفيد جيبال عجزه عن المقاومة انحاز إلى أجمير واحتمى بصاحبها، فقبض محمود على لاهور، وقبض على ما والاها من البلاد، وأقام الخطبة له وأمر بها واحداً من أمرائه، ثم رجع إلى غزنة.

وسار نحو الهند سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وقصد ننندا، فلما وصل إلـــى قلعـــة كوالير، وهي على رأس جبل منيع، ليس له مصعد إلا من موضـــع واحد، تسع خلقاً، وفيها من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج إليه الـــناس، فحصـــر أهلهـــا وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال، فقتل مـــنهم كثـــير، ولما رأوا ما حل بهم أذعنوا له وطلبوا الأمان فآمنهم وهرب صـــاحبها ننندا إلى كالنجر، فسار خلفه إليها وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألـــف إنسان، وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة، وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة، فلما قاربها وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة مـــن سلوك الطريق ما لا قدرة عليه، فأمر بقطعها ورأى في الطريق خندقاً عظـــيم العمـــق بعيد القعر، فأمر أن يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارساً، فطمـــوه بـــالجلود المملـــوءة تـــراباً، ووصـــل إلى القلعة فحصـــرها ثلاثة

وأربعيـــن يومـــاً، وراســـله صاحبها في الصلح، فلم يجبه، ثم صالحه على خمسمائة قبل وثلاثة آلاف مَنِّ فضةً.

ورحـــل مـــن غزنة في عاشر شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة عازماً إلى سومنات، وكانت بلدة كبيرة على ساحل البحر، فافتتحها عنوة وكسر الصنم المعروف بسومنات، والمشركون يزعمون أنه يحيى ويميت ويفعـــل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه إذا شاء أبرأ من العلل، وربما كان يـــتفق لشقوتهم ابلال عليل يقصده، فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة، فـــيزيدون به افتتاناً ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالاً وركباناً، ومن لم يصـــادف منهم انتعاشاً احتج بالذنب وقال: إنه لم يخلص له الطاعة، ولم يســـتحق منه الإجابة، ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجون إليه كل ليلة خسوف من كل صقع بعيد، ويأتون من كل فج عميق، ويتحفونه بكل مـــال نفـــيس، ولم يبق في بلاد الهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملـــك ولا ســـوقة إلا تقـــرب إلى هذا الصنم بما عسر عليه من أمواله وذخائـــره، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع، وامـــتلأت خزائـــنه من أصناف الأموال، وفي خدمته من البراهمة ألف رجـــل يخدمونـــه، وثلاثمائة يحلقون رؤوس حجيجه ولحاهم عند الورود علـــيه، وثلاثمائـــة رجـــل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه، ويجري من مال الأوقاف المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم.

وكـــان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفـــازة موصـــوفة بقلـــة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها، فسار إليها محمود في ثلاثين ألف فارس، جريدة مختارة من بين

عـــدد كثـــير ســـوى المتطوعة، وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى، وسلك سبيل ملتان وفي طريقه إلى الهند قفر لا ساكن فيها، ولا ماء ولا ميرة، وعسكره على قدر الحاجة، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل، تحمل الماء والميرة، وقصد انهلواره (أي نهرواله) فلما قطع المفازة رأى فـــي طـــرفها حصوناً مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوروها ليتعذر علـــيه حصرها، فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه فـــي قلوبهم وتسلمها وأهلك أوثانها، واستقوا الماء وامتاروا ما يحتاجون إليه، وسار إلى انهلوراه فرأى صاحبها بهيم قد أجفل عنها وتركها وقصد حصناً له يحتمي به.

فاستولى محمود على المدينة وسار إلى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات، فقاتل من بهـــا وفتحها، وخربها وكسر أصنامها وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء، فلقي فيها عشرين ألف مقاتل، فأرسل إليهم السرايا فقاتلوهم، وهـــزموهم وغـــنموا مـــالهم وامـــتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا ديولواره، وهي على مرحلتين من سومنات، وقد ثبت أهلها له ظناً منهم أن ســـومنات معهـــم ويدافـــع عنهم، فاستولى عليها، وقتل رجالها وغنم أموالها، وسار عنها إلى سومنات، فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه وأهله على الأسوار يتفرجون على المسلمين واثقيـــن أن معبودهم يقطع دابرهم، ويهلكهم، فلما كان الغد زحف وقاتل مـــن بـــه فـــرأى المشركون من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله، ففارقوا الســـور، فنصـــب المســـلمون عليه السلالم وصعدوا إليه وأعلنوا بكلمة

الإخــلاص وأظهروا شعار الإسلام، فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب، وتقدم جماعة المشركين إلى سومنات، فعفروا له خدودهم وسألوه النصر، وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض، فلما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوهم، فأكثروا فيهم القتل وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم فقاتلوا علـــى بابه أشد قتال حتى كاد الفناء يستوعبهم، فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضاً وغرق بعض.

وأمـــا البيت الذي فيه سومنات فكان مبيناً على ست وخمسين سارية من الســاج المصـــفح بالرصاص، وسومنات من حجر، طوله خمسة أذرع: ثلاثة مـــدورة ظاهـــرة وذراعـــان في البناء وليس بصورة مصورة، فأخذه محمود فكســـره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه إلى غزنة ليكون عتبة الجامع، وكان بيـــت الصـــنم مظلماً وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجواهر الفائق، وكان عـــنده سلسلة ذهب فيها جرس، وزنها مائتا مَنّ كلما مضى طائفة معلومة من اللـــيل حركـــت السلســـلة' فيصـــوت الجـــرس فيقوم طائفة من البراهمة إلى عـــبادتهم، وعـــنده خـــزانة فـــيها عدد منّ، الأصنام الذهبية والفضية، وعليها الســـتور المعلقـــة المرصـــعة بالجوهر كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمـــائهم، وقـــيمة مـــا في البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار، فأخذ الجميع، وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل.

ثم إن (محمود) ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلواره قد قصد قلعـــة تسمى كندهه،في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرســـخاً، فســـار إلـــيها من سومنات، فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصـــيادين فسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه أنه يمكن خوضه لكن

إذا هبت الريح ولو يسيراً غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين، فرأوا بهيم وقد فارق القلعة وأخلاها، فعاد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها ارتد عن الإسلام، فلما بلغه خبر مجئ محمود احتمى بغياض أشبة، فقصده محمود من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم، وغرق منهم كثير ولم ينج منهم إلا القليل، ثم سار إلى بهاطيه، فأطاعه أهلها ودانوا له، فرحل إلى غزنة فوصلها عاشر صفر سنة سبع عشرة وأربعمائة، وتوفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة بغزنة.

ثم ولى الملك مسعود بن محمود الغزنوي لما استقر له الملك بعد أبيه، وعرف أن نائبه بأرض الهند أرياق الحاجب استبد بالأمر استقدمه إلى معسكره ببلخ واحتال لقدومه إليه فأمنه أحمد بن الحسن المهمندي الوزير، فذهب إلى بلخ وكان معه قوته ورجاله من الترك ومشركي الهند فتلقاه مسعود بالرحبة والإكرام، وقربه إلى نفسه حتى اغتر الحاجب بإكرامه، ووقع في اللذات والخمور، فقبض عليه ذات يوم وقد غلب عليه السكر، ثم ولي أحمد بن نيالتكين الحاجب على ارض الهند، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة قصد قلعة سرستي، وكانت من أمنع حصون الهند وأحصنها، فحصرها وقد كان حصرها أبوه غير مرة، فلم يتهيأ له فتحها، فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالاً على الصلح، فأجابه إلى ذلك، وكان فيها قوم من التجار المسلمين، فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها على مسعود من جملة القرار عليه،

فكتب التجار رقعة في نشأبة، و رموا بها إليه يعرفونه فيها ضعف المشركين بها، وأنه إن صابرهم ملكها، فرجع عن الصلح إلى الحرب، وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه، وقتل من فيها وأخذ ما جاورها من البلاد، فكان عازماً على طول المقام والجهاد، فأتاه من خراسان خبر الغزو، فرجع إلى غزنة.

فلما سار إلى خراسان عصى نائبه أحمد نيالتكين ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالأذى، فسير إليه مسعود جيشاً كثيفاً، وكانت ملوك الهند تمنعه من الدخول إلى بلادهم، وتسد منافذ هربه، ولما وصل الجيش المنفذ إليه قاتلهم، فانهزم، ومضى هارباً إلى ملتان، وقصد بعض ملوك الهند بمدينة بهاطية، ومعه جمع كثير من العساكر فلم يكن لذلك الملك قدرة، وطالب منه سفناً ليعبر نهر السند، فأحضر له السفن، وكان في وسط النهر جزيرة ظنها أحمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر، ولم يعلموا أن الماء محيط بها، فتقدم ملك الهند إلى أصحاب السفن بإنزالهم في الجزيرة والعود عنهم، ففعلوا ذلك وبقي أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعام إلا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام ففنى زادهم وأكلوا دوابهم وضعفت قواهم، فأرادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه، فعبرالهندي إليهم عسكره في السفن وهم على تلك الحال، فأوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا ولد أحمد أسيراً وقتلوا أحمد ومن معه، فسير مسعود ولده مجدوداً إلى الهند سنة ست وعشرين وأربعمائة فاستقر بها إلى زمان أخيه مودود بن مسعود، كما في الكامل.

وقال فرشته في تاريخه إنه دخل سنة سبع وعشرين وأربعمائة، قصد قلعة هانسي، وكانت من أمنع قلاع الهند، فملكها في ستة أيام، ثم قصد قلعة سوني بت وملكها، ثم رجع إلى لاهور، وأمر على عساكره بالهند ولده مجدوداً وجعل أياز أتابكاً له، ثم سار إلى غزنة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة تولى مودود بن مسعود الغزنوي فسار ملك دهلي بالعساكر الكثيفة إلى قلعة هانسي، فحاصرها ثم ملكها، ثم قلعة تهانيسر فملكها، ثم نكر كوت، فملكها أيضاً، ثم قصد لاهور، واجتمع به ملكان آخران من ملوك الهند، فحاصرها سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فجمع مقدم العساكر الإسلامية بالهند من عنده منهم، وأرسل إلى مودود يستنجده، فسير إليه العساكر، فاتفق أن بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد إلى طاعة مودود، فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما، فسارت العساكر الإسلامية إلى أحدهما، وكان يعرف بدوبال هرهانه، فانهزم منهم وصعد إلى قلعة منيعة له هو وعساكره فاحتموا بها، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم، وأكثروا القتل فيهم، فطلب المشركون الأمان على تسليم الحصن، فامتنع المسلمون من إجابتهم إلا بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم، فجعلهم الخوف وعدم الإقرار على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلموا الجميع، وغنم المسلمون الأموال وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف نفر.

فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني واسمه "تابت بالري" فتقدم إليهم ولقيهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم المشركون، وانجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح، وغنم المسلمون أموالهم

وســـلاحهم ودوابهـــم، فلمـــا رأى باقـــي الملوك ما لقي هؤلاء أذعنوا للطاعة وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأجيبوا إلى ذلك.

إلـــى أن قـــال الســـيد عبدالحـــي الحسني: ثم تولى الملك إبراهيم بن مســـعود الغـــزنوي قصد الهند سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، فحصر قلعة أجودهـــن، وكانت قلعة جصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجـــل من المقاتلة، فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف إليهم غير مرة، فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفاً ورعباً، فسلموا القلعة إليه، وكانت فـــي نواحـــي الهـــند قلعـــة يقال لها "روبال" على رأس جبل شاهق، تحتها غـــياض أشـــبة، وخلفها البحر، وليس عليها قتال إلا من مكان ضيق، وهو مملـــوء بالفـــيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب ألوف، فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجيمع أنواع الحرب، وملك القلعة واستنزلهم منها.

وفي بلاد الهند موضع يقال له "دره" وهو بر بين خليجين، فقصده إبراهيم فوصل إليه، وفي طريقه عقبات كثيرة، وفيها أشجار ملتفة، فأقام هـــناك ثلاثة أشهر، ولقي الناس من الشتاء شدة، ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره عليه، وعاد إلى غزنة سالماً مظفراً.

ومـــات إبراهيم في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، فقام بالمك بعده ولـــده مسعود بن إبراهيم، وأمر على الهند طغاتكين، الحاجب الذي كان مقطعاً بلاهور، ومات مسعود سنة ثمان وخمسمائة، فقام بالملك بعده ولده أرســـلان شـــاه، وأمر على بلاد الهند محمد باهليم الحاجب فخرج عليه أخوه بهرام شاه وغلب عليه، ففر أرسلان شاه إلى الهند ثم قصد "غزنة" وقتل في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة.

بهرام بن إبراهيم الغزنوي:

قام بالملك بعد أخيه أرسلان شاه، وقد دخل الهند سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وكان محمد باهليم نائب أخيه بالهند أظهر العصيان عليه، فأصلح الفاسد وقبض عليه وحبسه أولاً، ثم أطلقه من الأسر وأمره على عساكره بالهند مرة ثانية ورجع إلى غزنة.

فلما أبعد عن الهند جمع محمد باهليم المذكور عسكراً من الأفغانية والخليجية وغيرهما، وشن الغارة على المشركين، وفتح البلاد والقلاع، وأسس قلعة بناكور في جبال "سوالك" واختن بها، وأقام عياله فيها ثم أظهر العصيان مرة ثانية، فلما سمع بهرام شاه رجع إلى الهند فلقيه بعساكره واقتتلوا أشد قتال، فقتل ومعه أبناؤه، ثم أمر بهرام شاه على عساكره بالهند سالار حسين بن إبراهيم العلوي، ورجع إلى غزنة.

وصلب سيف الدين، فلما سمع ذلك صنوه علاء الدين ملك غور قصد غزنة بعساكره، ومات بهرام شاه قبل وصوله إلى غزنة فوصل إلى غزنة وملكها، وخرج خسرو شاه بن بهرام شاه إلى الهند، ولم يزل بها حتى مات بلاهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فقام بالملك بعده ولده خسرو ملك بن خسرو شاه، وانقرضت دولة آل سبكتكين عليه، كما سنذكره في ذكر شهاب الدين سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

شهاب الدين محمد الغوري:

لما استقر أمره بغزنة في أيام أخيه غياث الدين الغوري سار إلى الهند سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، فانتزع ملتان وما والاها من أيدي القرامطة، ثم حاصر "أج" وبها ملك من المشركين، ثم إنه لما فتح ملتان

و"أج" أمــر عليهما عليا كرماج وعاد إلى غزنة، ثم سار منها سنة أربع وســبعين وخمسمائة من طريق ملتان إلى كجرات، فلقيه صاحبها "بهيم ديو" وقاتله، فانهزم المسلمون وقتل كثير منهم فعاد إلى غزنة.

وقصد بلاد الهند سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ففتح قلعة "بهتنده" وهـــي حصن منيع عامر، وملك سرستي وكوه رام (كهرام) وأمر على بهتـــنده وغــيره ضياء الدين التولكي، فلما سمع برتهى راج ملك أجمير ودهلي، جمع العساكر وأكثر وسار إلى دهلي مع أخيه كهاندي راو، نائبه بأرض دهلي وأكثر ملوك الهند، فالتقوا في قرية نارائن على شاطئ نهر سرســتي علـــى أربعين ميلاً من دهلي، وقامت الحرب على ساق، فلما اشـــتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم، فقال لشهاب الدين بعــض خواصـــه: قـــد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك، لا يهلك المســلمون، فأخذ شهاب الدين الرمح وحمل على المشركين فوصل إلى الفــيلة، فطعن فيلاً منها في كتفه، فزرقه كهاندي راو بحربة في ساعده فــنفذت الحربة من الجانب الآخر، فوقع حينئذ على الأرض فقاتل عليه أصحابه ليخلصوه، وحرص المشركون على أخذه، وكانت عنده حرب لم يســمع بمــثلها، وأخذه أصحابه فركبوه فرسه وعادوا به منهزمين، فلم يتــبعهم المشركون، فلما أبعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمي علـــى شهاب الدين من كثرة خروج الدم، فحمله الرجال على أكتافهم في محفة اليد أربعة وعشرين فرسخاً، فلما وصل إلى لاهور استراح بها ثم رجـــع إلـــى غزنة وأخذ الأمراء الغورية الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلق على كل واحد منهم عليق شعير وقال: أنتم دواب! ما أنتم بأمراء.

ثـــم جمـــع عساكره وسار نحو الهند سنة ثمان وثمانين وخمسمائة،

ولما وصل إلى بشاور تقدم إليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له: قد قربنا من العدو! وما يعلم أحد أين يمضي ولا من يقصد ولا يرد على الأمـــراء سلاماً وهذا لا يجوز فعله، فقال له شهاب الدين: أعلم أنني منذ هزمنـــي هذا الكافر لم أنم مع زوجتي، ولم ألبس ثياباً بيضاء، وأنا سائر إلـــى عـــدوي ومعـــتمد على الله لا على الغورية ولا على غيرهم، فإن نصـــرني الله ســبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه، وإن انهزمنا فلا تطلبونـــي، فمـــا انهزمت ولو هلكت تحت حوافر الخيل، فقال له الشيخ: ســـوف تـــرى بني عمك من الغورية ما يفعلون فينبغي أن تكلمهم وترد ســـلامهم، ففعل ذلك، وبقي الأمراء الغورية يتضرعون ويقولون: سوف تـــرى ما نفعل! وسار إلى أن وصل إلى موضع المصاف الأول، وجازه مسيرة أربعة أيام، وأخذ عدة مواضع من بلاد العدو.

فلما سمع برتهي راج تجهز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين، فلما بقيت بين الطائفتين مرحلة عاد شهاب الدين وراءه وبرتهي راج في أعقابه أربعة منازل، فأرسل برتهي راج إليه يقول له: أعطني يدك على أنـــك تصـــادفني في باب غزنة، حتى أجئ وراءك، وإلا فنحن متقلون، ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثم يخرج هارباً، فأعاد الجواب أني لا أقـــدر علـــى حربك، وتم على حاله عائداً إلى أن بقي بينه وبين بلاد الإســـلام ثلاثـــة أيـــام، وبرتهي راج في آثره يتبعه حتى لحقه قريباً من مـــرنده، فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين ألفاً قال: أريد هذه الليلة تـــدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون أنتم من تلك الناحية وأنا من هذه الناحية، ففعلوا ذلك وطلع الفجر، ومن عادة المشركين أنهم لا يبرحون مضاجعهم إلى أن تطلع الشمس، فلما أصبحوا

حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب، وضربت الكوسات، فلم يلتفت برتهي راج إلى ذلك وقال: من يقدم عليَّ أنا، هذا والقتل قد كثر في المشركين و النصر قد ظهر للمسلمين، ولما رأى برتهي راج ذلك أحضر فرساً له سابقاً وركب ليهرب، فقال له أعيان أصحابه: إنك حلفت لنا أنك لا تخلينا وتهرب! فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه، والقتال شديد والقتل قد كثر في أصحابه، فانتهى المسلمون إليه وأخذوه أسيراً، وحينئذ عظم القتل والأسر في المشركين ولم ينج منهم إلاّ القليل، وأحضر برتهي راج بين يدي شهاب الدين، فقال شهاب الدين: لو استأسرتني ما كنت تفعل بي؟ فقال: قد استعملت لك قيداً من ذهب أقيدك به، فقال شهاب الدين: بل نحن نجعل لك من القد رما نقيدك، وغنم المسلمون من المشركين أموالاً كثيرة وأمتعة عظيمة، وفي جملة ذلك أربعة عشر فيلاً، من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الوقعة.

ثم سار شهاب الدين إلى أجمير، فأخذه، وأخذ جميع البلاد التي تقاربه، وولى عليها كوله ولد برتهي راج المذكور، ثم سار إلى دهلي، فأرسل صاحبها الهدايا من الأموال الطائلة فرجع عن ظاهرها، وقنع بسرستي، وهانسي، وكهرام، وسامانه، وغيرها من القلاع والبلاد، وأقطعها لملوكه قطب الدين أيبك، ثم رجع إلى غزنة.

فقام قطب الدين بالملك بعده وشن الغارة على ميرته فملكها ثم سار إلى دهلي وقاتل صاحبها أشد قتال فهزمه ودخل دهلي.

وقدم شهاب الدين بلاد الهند سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ففتح قلعة "تهنكر" التي سموها بعد ذلك "بيانه" بفتح الموحدة وولى عليها بهاء الدين طغرل وبعث مملوكه قطب الدين إلى كوالير، فقاتل صاحبها

سلمكن وفتحها صلحاً، ورجع شهاب الدين إلى غزنة.

ثم قدم الهند سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وبعث مملوكه قطب الدين إلـــى نهرواله، فوصلها سنة ثمان وتسعين، فلقيه عسكر المشركين، فقاتلوه قتالاً شديداً، فهزمهم قطب الدين واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدواب وغـــيرها، وتقدم إلى نهرواله، فملكها عنوة، وهرب ملكها بهيم ديو، فجمع وحشـــد فكثر جمعه، وعلم شهاب الدين أنه لا يقدر على حفظها إلا بأن يقيم هـــو فـــيها ويخليها من أهلها، ويتعذر عليه ذلك، فصالح صاحبها على مال يؤديه إليه عاجلاً وآجلاً، وأعاد عساكره عنها وسلمها إلى صاحبها.

وفـــي ســـنة تسع وتسعين وخمسمائة ملك قطب الدين قلعة "كالبي" و"كالـــنجر" وبدايون، وقد اتخذ قطب الدين دهلي عاصمة إسلامية وبنى فـــيها (مســـجد قوة الإسلام) الذي لا تزال منارته شامخة تتحدى القرون واســـمها "قطـــب مـــنار" أي منار قطب، وسوف يأتي الكلام عليها في (اليوميات) بإذن الله.

المسلمون في الهند في ضوء الإحصاءات:

جـاء فـي بحـث أعده للرابطة الدكتور محمد يونس النجرامي – مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية قوله:

إن بـلاد الهـند بـلاد واسعة الأرجاء والأطراف تقع في الجزء الجنوبـي لقـارة آسـيا مساحتها ٣,٢٩٧,٢٦٣ كيلومتر مربعاً، وسكانها ٨٤٤,٣٢٤,٢٢٢ نسـمة وفق إحصاء ١٩٩١م، وطولها من الشرق إلى الغـرب ٢,٩٣٣ كيلومـتر، وعرضـها من الشمال إلى الجنوب ٣٢١٤ كيلومتر، وحدودها في المنطقة اليابسة ٧٥٢٠ كيلومتر، وساحلها البحري ٧,٥١٧ كيلومـتر، وهي من الدرجة السابعة مساحة في بلدان العالم كله، ومكانتها تلي مكانة الصين في عدد السكان.

ولـيس سكانها البالغ عدده إلى ٨٣٤,٣٠٠,٠٠٠ نسمة منتشراً في كل بقعة من بقاعها بصورة متساوية، لأن كثرة السكان في أي منطقة من مـناطق الـبلاد إنما تنحصر في أوضاعها الطبيعية، يعني نجاد الأرض ووهادهـا خصـبها وغزارة الأمطار، ووسائل سقاية الزرع، وتسهيلات وسائل التنقل والسفر، وغير ذلك من الحاجات والشئون.

تسـكن فـي هذه البلاد ٣٨٧ نفساً في كيلو متر مربع، ولكن نسبة السـكان فـي كل كيلو متر مربع في الولايات والمناطق تختلف كثيراً، فتسـكن فـي ولاية بنغال الغربية في الكيلومتر ٧٦٦ نفس، وفي كيرالا ٧٤٧ نفسـاً، وفي بيهار ٩٤٧ نفس، وفي اترابراديش ٤٧٢ نفس، وفي تامل نادو ٣٢٨ نفس، في كل كيلومتر مربع، وفي ميغاليا ٧٨ نفساً فقط، وفي ناغاليند ٧٣ نفساً، وفي سكم ٥٧ نفساً، وفي ميزورم ٣٣ نفساً وفي أروناشال براديش ١٠ أنفس فقط في الكيلومتر المربع.

إن سـكان الولايـات التي توجد فيها أرض مسطحة حول الأنهار ومـنطقة ميدانية على ساحل البحر أشد كثافة من سكان الولايات الجبلية الغير الممهدة التي أرضها غير صالحة ومناطقها محاطة بالغابات.

ولا أمل في إحصاء الاتباع لمختلف الأديان قبل أواخر ١٩٩٣م أو أوائل ١٩٩٤م وفق إحصاء ١٩٩١م.

ونظـراً إلـى إحصـاء ١٩٦١م ازداد سكان البلاد الهندية بنسبة ٢١,٥١./.، وفـي سـنة ١٩٧١م إلـى ٢٤,٨٠./.، وفي سنة ١٩٨١م ٢٤,٩٩./..

أمـا عـدد المسلمين فازدادت نسبتهم في السكان في سنة ١٩٦١م ٢٥,٦١./.، وفـي سـنة ١٩٧١م ٣٠,٨٥./. وفي سنة ١٩٨١م إلى ٣٠,٥٩، ولـم يـزل هناك تفاوت ٥./. في زيادة نسبة مجموع السكان في البلاد وزيادة نسبة المسلمين من كل إحصاء من إحصاءات السنوات.

كـان عدد المسلمين في سنة ١٩٨١م ٧٥,٥١٢,٤٨٩ نسمة، ويرجى أن نسـبة المسـلمين ستزيد إلى ٢٨./. بالنسبة إلى نسبة سكان البلاد ٢٣,٥٦./. فـي إحصـاء ١٩٩١م، وهكـذا سـيبلغ عدد المسلمين في إحصاء ١٩٩١م ٩٦,٦٥٥,٩٢٢ نسـمة، وستكون نسبة المسلمين هذه أكبر نسبة مسلمة في أي بلد من بلدان العالم سوى بلاد أندونيسيا وبنغلاديش وباكستان.

عدد المسلمين في الهند:

ونذكر فيما يلي عدد المسلمين في الهند من ١٩٥١م إلى ١٩٨١م، ونسـبته إلى السكان، ونسبة مجموع سكان الهند، وزيادة نسبة المسلمين في كل إحصاء.

العام	عدد المسلمين	نسبة الزيادة	النسبة المئوية	نسبة زيادة السكان
١٩٥١	٣٥,٤١٤,٢٨٤	–	٩,٩	–
١٩٦١م	٤٦,٩٤٠,٧٩٩	٢٥,٦١	١٠,٧٠	٠,٧٩
١٩٧١م	٦١,٤١٧,٩٣٤	٣٠,٨٥	١١,٢١	٠,٥١
١٩٨١م	٧٥,٥١٢,٤٤٩	٣٠,٥٩	١١,٣٥	٠,١٤
١٩٩١م	٩٦,٦٥٥,٩٢٢	٢٨,٠٠	١١,٤٥	٠,١٠(تقديرا)

ولا شـــك أن زيادة ٠.١٠./. في نسبة المسلمين ١١,٣٥./. في سنة ١٩٨١م قلـــيلة وضـــئيلة جـــداً ويـــرجى أن تكون نسبة ٢٨./. في عدد المســـلمين في سنة ١٩٩١م، وتزيد نسبتهم إلى أكثر من ٠,١٢./.. عن نسبتهم في سنة ١٩٨١م.

وآثـــر المســـلمون المعيشـــة في المناطق المسطحة المخصبة التي تجـــري فـــيها الأنهـــار في شمال الهند، وفي جنوبها وأحبوا السكن في المناطق الواقعة على السواحل الشرقية والغربية، فآثروا المعيشة في مثل هـــذه المناطق على المعيشة في المناطق الجبلية الغير المسطحة المحاطة بالغابات، وذلك بناءاً على بعض الأسباب التاريخية، وتوفر وسائل العيش البشري وأكثر من ذلك لميلهم الطبعي.

ويوجـــد معظـــم عدد المسلمين في خط المدينة في هذه البلاد، أي درجة ٢٤ ودقيقة ٣١ في عرض البلد شمالاً، وخط المدينة هذا يقع على ١٢٠ كيلومـــتر شـــمالاً مـــن خط السرطان درجة ٢٣ دقيقة ٢٧، ويمر بمديـــرية بـــناس كنتها في ولاية غجرات، والجزء الجنوبي لراجستان، والجزء الشمالي لمدهيا براديش، ومديرية لت فور، وسون بهدرا بولاية

اترابــراديش، والجزء الأوسط لولاية بيهار، ومديرية بيربهوم، ومرشد آبــاد فــي ولاية بنغال الغربية، ومديرية كريم غنج وكجار لولاية آسام، والجزء الأوسط لمني فور.

ويوجــد أكبر عدد من المسلمين في ولاية جامو وكشمير، والجزء الغربــي لراجســتان، والجــزء الغربي لولاية كجرات ، وجنوب جبال شيوالك، وفي ولايتي بيهار واترابراديش في منطقة نهر الكنج، وناغفور، والجــزء الشمالي لسنتهال برغنة، وفي ولاية بنغال الغربية على جانبي نهــر هغلــي، وفي ولاية آسام في وادي نهر براهما بترا الأوسط وفي وادي نهر براك.

وعــدد كبير من المسلمين يوجد في ثلاث ولايات متجاورة شمالية لبلاد الهند: اترابراديش، وبيهار، والبنغال الغربية، فيوجد عدد المسلمين أكثر من النصف أي ٥٢,٠١./. في هذه الولايات الثلاث، ويوجد خمس عددهــم بــل أكثر منه بشيء أي ٢٢,٤٣./. في أربع من ولايات الهند الجنوبــية وهي : كيرالا وآندهرا برديش وكرناتكا، وتامل نادو، ومنطقة بانديجري المتحدة.

وســبع عــدد المسلمين يوجد في ولايات الهند الغربية راجستان، وغجرات ومهاراسترا، وغوا وفي منطقتين صغيرتين متحدتين دمن وديو ودادرا ونغر حويلي.

وكذلــك يوجــد عــدد كبير للمسلمين في ساحل مالابار في ولاية كــيرالا، وفــي الجــزء الأوسط لسطح دكن المرتفع، ومن مديرية نمار بولاية مدهيا براديش شمالاً إلى مديرية بنغلور في ولاية كرناتكا جنوباً.

أمـــا البلاد التي يوجد فيها أقل عدد للمسلمين فهي منطقتا جهتيس كراه ودنداكارنيا في ولايتي مدهيا براديش وأريسه وتتصل بهذه المنطقة في الغرب ولايتا مدهيا براديش ومهاراسترا- وفي الجنوب منطقة آندهرا براديش الشمالية الشرقية وساحل سركار الشمالي.

هـــذه المنطقة الجبلية من البلاد التي يوجد فيها أقل عدد للمسلمين تمـــتد مـــن الجزء الفوقي لنهر سون في الشمال إلى الجزء الأسفل لنهر غـــوداوري في الجنوب، ويجري من بينها مهاندي، كانت هناك صخور عالـــية وغابات متصلة وعرة، وكانت الأرض ذات صخور وأحجار، لم تكـــن فيها خصوبة، وكان مناخها رطباً غير ملائم للصحة، كانت تسكنها القـــبائل، وكانـــت هذه المنطقة بعيدة جداً عن مركز المسلمين السياسي والحضـــاري، وذلك هو السبب في أنه لم ينزح إليها المسلمون في عدد ضـــخم، لذلـــك نسبة المسلمين في مديريات هذه المنطقة كلها قليلة، بل ضئيلة جداً.

والمـــناطق الأخـــرى للبلاد التي يوجد فيها عدد قليل من المسلمين هـــي: ولايـــة بـــنجاب وهـــريانه، وهماشـــال براديش، ومنطقة شمال اترابـــراديش الغربـــية الجبلـــية كـــرهوال، وكما يون، وكذلك الولايات الصـــغرى الغير المعمورة إلى حد كبير لشمال الهند الشرقية مثل ولاية اروناشال براديك و ناغاليند، وميزورم، وميغاليا، ومني فور.

وليســـت أســـباب قلـــة نسبة المسلمين في ولايتي بنجاب وهريانه طبيعية وفطرية بل هي أسباب نقلية واعتدائية، إذ أدت الأوضاع في سنة ١٩٤٧م وقت تقسيم الهند إلى هذه الكيفية لتنقل السكان على نطاق واسع.

أمـــا قـــبل تقســـيم الهند وتنقل السكان في نطاق واسع فكان عدد المســـلمين من١٥./. إلى ٣٣./. في المديريات كلها التي هي في ولاية هريانه سوى المناطق الجبلية التي هي داخلة الآن في ولاية هماشال براد ديش، وكان عددهم من ٣٢./. إلى ٥٠./. في المديريات التي هي داخلة في ولاية بنجاب الآن.

انتهى كلام الدكتور النجرامي.

تعليق على عدد المسلمين في الهند:

قلـــنا مـــا هـــو معروف للجميع أو يكاد يكون كذلك وهو أن نسبة المســـلمين بيـــن ســـكان الهند هي ما بين ١٠./. و١٢./. وآخر إحصاء ســـكاني للهند جرى فيما أذكر عام ٢٠٠١م ذكر أن مجموع السكان في الهند قد وصل إلى مليار ساكن، وعلى هذا يكون عدد المسلمين في الهند قد بلغ مائة وعشرة ملايين أو مائة مليون وعشرين مليوناً.

ولم أقف على نسبة المسلمين بين السكان في هذا الإحصاء الأخير ولكن هناك إحصاءات متوفرة عن نسبتهم في السابق أي في الإحصاءات السابقة، وهي تظهر أن نسبتهم في البلاد تزيد وتتسع باضطراد.

يبين هذا الجدول وقد نشر في مجلة الجامعة السلفية في بنارس في عـــدد (شهري أبريل ومايو عام ١٩٨٠م) وما بعده من الأعوام يمكن أن يقاس عليه.

قائمة عدد السكان الهنود
واللغة السائدة في كل ولاية ونسبة المسلمين بينهم

الأرقام	الولايات	المساحة /كم٢	المسلمون	النسبة المئوية	الهنادك	الأديان الأخرى	اللغات
١	آسام	٧٨٥٣٢	٣٥٩٤٠٠٦	٢٤,٠٣	١٠٦٢٢٥٨٤٧	٧٢٧٦٨٩	الآسامية
٢	آندهرابرادش	٢٧٦٧٥٤	٣٥٢٠١٦٦	٨,٠٩	٣٨١١٩٢٧٩	١٨٦٣٢٦٣	تلكور والاردية
٣	اترابراديش	٢٩٤٤١٣	١٣٦٧٦٥٣٣	١٥,٤٨	٧٣٩٩٧٥٩٧	٦٦٧٠١٤	الهندية والأردية
٤	اروناشل	٨٣٥٧٨	٨٤٢	٠,١٨	١٠٢٨٣٢	٣٦٣٨٣٧	
٥	اريسا	١٥٥٨٤٢	٣٢٦٥٠٧	١,٤٩	٢١١٢١٠٥٦	٤٩٧٠٥٢	الأردية
٦	اندمان ونكوبار	٨٢٩٣	١١٦٥٤٥	١٠,١٢	٧٠١٣٤	٣٣٣٤٤	
٧	بنغال	٨٧٨٥٣	٩٠٦٤٣٣٨	٢٠,٤٦	٣٤٦١١٨٦٤	٦٣٥٨٠٩	البنغالية والأردية
٨	بيهار	١٧٣٨٧٦	٧٥٩٤١٧٣	١٣,٤٨	٤٧٠٣١٨٠١	١٧٢٧٣٩٥	الهندية والأردية
٩	تامل نادو	١٣٠٠٦٩٦	٣١٠٣٨٩٩	٥,٤١	٣٦٦٧٤١٥٤٠	٢٤٢١١١٩	تامل والإنجليزية والأردية
١٠	ترى فوره	١٠٤٧٧	١٠٣٩٦٢	٠,٦٨	١٣٩١٦٨٩	٥٨٦٩٢	البنغالية والتربفورية
١١	جمون وكشمير	٢٢٢٢٣٦	٣٠٤٠١٢٩	٦٥,٨٥	١٤٠٤٢٩٢	١٧٢٢١١	الكشميرية والأردية والدكوكرية وغيرها
١٢	دادرا ونكرحولي	٤٩١	٧٤٠	١,٠	٧١٠٧٥	٢٣٥٥	
١٣	دهلي	١٤٨٥	٢٦٣٠١٩	٦,٤٧	٣٤٠٧٨٣٥	٣٩٤٨٤٤	الأردية والهندية والفنجابية

١٤	راجستان	٣٤٢٢١٤	١٧٧٨٢٢٥	٦,٩٠	٢٣٠٩٣٨٩٥	٨٩١٦٣٦	الهندية والأردية
١٥	سندي كره	١١٤	٣٧٢٠	١,٤٥	١٩٤٣٩٥	٦٩١٣٩	الفنجارية والاردية
١٦	بانديشري	٤٨٠	٢٩١٤٣	٦,١٨	٤٠٠٧٩٣	٤١٧٧١	
١٧	فنجاب	٥٠٣٦٢	١١٤٤٤٧	١٩,٥٠	١٢٦٨٣٢٧٧	٤٥٠١٣٨٠	مليالم والعربية والإنجليزية
١٩	كجرات	١٩٥٩٨٤	٢٢٤٩٠٥٥	٨,٤٢	٢٣٨٣٥٤٧١	٦١٢٩٤٩	الكجراتية والأردية
٢٠	كوادمن ديو	٣٨١٣	٣٢٢٥٠	٣,٧٦	٥٥٠٤٨٢	٢٧٥٠٣٩	المرهتية والكونكنية والكجراتية
٢١	لكش ديب	٣٢	٣٠٠١٩	٩٤,٣٧	١٥٤٥	٢٤٦	مليالم
٢٢	مدهية براديش	٤٤٢٨٢١	١٨١٥٦٨٥	٤,٣٦	٣٩٠٢٤١٦٢	٨١٤٢٧٢	الهندية والأردية
٢٣	منى فور	٢٢٣٥٦	٧٠٩٦٩	٦,٦١	٦٣٢٥٩٧	٣٦٩١٨٧	المنى فورية
٢٤	مهاراسترا	٣٠٧٧٦٢	٤٢٣٣٠٢٣	٨,٤٠	٤١٣٠٧٣٨٧	٤٨٧١٩٢٥	المرهتية والأردية
٢٥	كرناتك	١٩١٧٧٣	٣١١٣٢٢٨	١٠,٦٣	٢٥٣٣٢٣٨٨	٨٥٣٣٢٨	الكنارية والأردية والإنجليزية
٢٦	ميغاليا	٢٢٤٨٩	٢٦٣٤٧	٢,٦٠	١٨٧١٤٠	٧٩٨٢١٢	خاسي وجينيا وكارو
٢٧	ناغاليند	١٦٥٢٧١	٢٩٦٦	٠,٥٨	٥٩٠٣١	٤٥٤١٥٢	ناكا
٢٨	هريانه	٤٤٢٢٢	٤٠٥٧٢٣	٤,٠٤	٨٩٥٦٣١٠	٦٧٤٧٧٥	الهندية والأردية
٢٩	هماشل براديش	٥٥٦٧٣	٥٠٣٢٧	١,٤٥	٣٣٢٤٦٢٧	٨٥٤٨٠	الهندية والجبلية

وهــذا بحــث آخــر لأحد الباحثين المسلمين من أهل الهند بعنوان "المسلمون في الهند في ضوء الإحصاءات ونسبتهم في القوات الهندية".

لا تزال تتم عملية إحصاءات السكان في الهند بعد كل عشر سنوات بصــورة مستمرة منذ سنة ١٩٨١م، ويقام بهذا العمل تحت مادة سنسس لســنة ١٩٤٨م بعــد اســتقلال البلاد، وأثناء الإحصائية لا يحصى عدد رؤوس الــناس فقــط، ولا تكــون إحصاءات النفوس فحسب، بل تجمع الإحصاءات أيضاً على مختلف الجوانب الإنسانية والاجتماعية التي يسهل بدراستها فهم القضايا الاجتماعية والاقتصادية.

كمــا يحصل على المعلومات عن ديانة كل فرد من أفراد البلاد كذلك عــند إحصاءات السكان بالإضافة إلى الأمور الأخرى، وتسجل ديانة الفرد مثلما يخبر بها، فإن قال إنه لا يدين بدين يكتب ذلك أيضاً، لا يدين بدين".

وتجمــع الإحصـــاءات عن اتباع ست ديانات كبيرة توجد في الهند وهــذه الديانـــات هـــي: الهندوسية، والإسلام، والديانة المسيحية، وديانة الســيخ، والديانـــة الجينية، وديانة بوذا، وأما بقية الناس فتسجل أسماؤهم تحت: "الديانات الأخرى"، والمسلمون يشكلون ثاني أكبر سكان هذه البلاد بعــد الهندوس، وكان عدد السكان المسلمين وفقاً للإحصائية الواقعة في سنة ١٩٨١م ٧١٧٢٨٢٦٣، الذي كان يشكل نسبة ١٠,٨٨ في المائة من إجمالـــي الســكان، وتزايد عدد السكان المسلمين في عشر سنوات بنسبة ٣٢,٧٦ فـــي المائـــة فصار في سنة ١٩٩١م ٩٠٥٢٢٨٥٣، الذي كان يشــكل نســبة ١١,٦٧ في المائة من جميع سكان البلاد، كما ارتفع عدد السكان من أتباع الديانات الستة في الفترة ما بين ٩١-١٩٨١م بالنسبة التالية:

م	الولايات	نسبة السكان المسلمين	مجموع عدد السكان المسلمين	ارتفاع نسبة السكان في عشر سنوات (٨١-١٩٩١م)
١	جامو وكشمير	./.٦٤,١٨	–	–
٢	ولاية آسام	./.٢٨,٤٣	٦٣٧٣٢٠٤	–
٣	بنغال الغربية	./.٢٣,٦١	١٦٠٧٥٨٣٦	./.٣٦,٨٩
٤	ولاية كيرالا	./.٢٣,٣٣	٦٧٨٨٣٦٤	./.٢٥,٤٩
٥	الولاية الشمالية	./.١٧,٣٣	٢٤٠٩٦٨٤	./.٣٦,٥٤
٦	ولاية بيهار	./.١٤,٨١	١٢٧٨٧٩٨٥	./.٢٩,٥٠
٧	ولاية كرناتكا	./.١١,٦٤	٥٢٣٤٠٢٣	./.٢٥,٧١
٨	ولاية مهاراشترا	./.٩,٦٧	٧٦٢٨٧٥٥	./.٣١,٤٠
٩	آندهرا برديش	./.٨,٩١	٥٩٢٣٩٥٤	./.٣٠,٦٦
١٠	ولاية غجرات	./.٨,٧٣	٣٦٠٦٩٢٠	./.٢٤,٠٥
١١	راجستان	./.٨,٠١	٣٥٢٥٣٣٩	./.٤١,٤٦
١٢	ولاية مني فور	./.٧,٢٧	١٣٣٥٢٥	./.٣٤,٤٤
١٣	ولاية ترى فوره	./.٧,١٣	١٩٦٤٩٥	./.٤١,٨٤
١٤	ولاية تامل نادو	./.٥,٢٥	٣٠٥٢٧١٧	./.٢١,١٦
١٥	ولاية غوا	./.٥,٢٥	٦١٤٥٥	./.٤٧,٧٤
١٦	مدهيا برديش	./.٤,٩٦	٣٢٨٢٨٠٠	./.٣١,٢١
١٧	ولاية هريانه	./.٤,٦٤	٧٦٣٧٧٥	./.٤٥,٨٩
١٨	ميغاليه	./.٣,٤٦	٦١٤٦٢	./.٤٨,٣٤
١٦	ولاية أريسه	./.١,٨٣	٥٧٧٧٧٥	./.٣٦,٨٣
٢٠	هما جال بريش	١,٨٢	٨٩١٣٤	./.٢٨,٠٤
٢١	ناغا ليند	./.١,٧١	٢٠٦٤٢	./.٧٤,٨٤
٢٢	أرونا جال برديش	./.١,٣٨	١١٩٢٢	./.١٣٥,٠١
٢٣	ولاية بنجاب	./.١,١٨	٢٣٩٤٠١	./.٤٢,٤٢
٢٤	ولاية سكم	./.٠,٩٥	٣٨٤٩	./.١٨,٧٦
٢٥	ولاية ميزورم	./.٠,٦٦	٤٥٣٨	./.١٠٥,٨٠

ملحوظة: لم تتم عملية إحصاءات السكان في جامو وكشمير في ١٩٩١م وفي آسام في سنة ١٩٨١م.

وأما ارتفاع نسبة السكان من أتباع الديانات المختلفة فهو كما يلي:

١-	البونيون	٣٥,٩٨ في المائة
٢-	المسلمون	٣٢,٧٦ في المائة
٣-	السيخ	٢٥,٤٨ في المائة
٤-	الهندوس	٢٢,٧٨ في المائة
٥	النصارى	١٦,٨٩ في المائة
٦-	الجينيون	٤,٤٢ في المائة
٧-	أتباع الديانات الأخرى	٠,٣٨ في المائة

· وقـد ازداد في الهند ازدياداً ظاهراً عدد الذين يأبون اتباع دين من الديانات ويقولون بصراحة، "أكتبوا ليس لي دين"، وكان عدد أمثال هؤلاء الـناس في سنة ١٩٨١م ٦٠٢٠٩ فقط، أي كانوا يشكلون نسبة ٠.١/. من إجمالي السكان، ولكن ارتفع هذا العدد وتزايد في سنة ١٩٩١م حتى بلغ ٤٠٥٤٨٦، يعني ٠.٥/. من مجموع السكان.

وهكـذا كانت نسبة أتباع الديانات المختلفة الستة من إجمالي سكان البلاد في سنة ١٩٨١م وفي سنة ١٩٩١م كما ذكرناه فيما هو أعلاه.

ويتضح من الإحصاءات المذكورة أعلاه أن المسلمين والسيخ والبوذيين قـد ارتفعـت نسبة عددهم من إجمالي سكان البلاد، وكانت الزيادة الباهرة من بيـنهم فـي عـدد السـكان المسلمين الذي قد ارتفع وازداد بنسبة ٠,٧٩ ./.، وبالعكس من ذلك قد انتقصت نسبة السكان الهندوس بنسبة ٠,٦٨./..

ودلـت الإحصـاءات المذكـورة أعلاه على أن أقل نسبة السكان المسلمين أعني ٠,٦٦./. توجد في ولاية ميزورم، كما توجد أكثر نسبتهم

فـــي ولاية جامو وكشمير، وإنما هم يشكلون نسبة أكثر من عشرين في المائـــة فـــي ثـــلاث ولايات فقط، وهي ولاية آسام وولاية بنغال الغربية وولاية كيرالا.

بينما ولاية جامو وكشمير وحيدة من نوعها حيث نسبة عدد السكان المسلمين أكثر من ستين في المائة أيضاً، وحيث كان عدد المسلمين وفقاً للإحصـــاءات الواقعـــة في سنة ١٩٨١م ٣٨٤٣٤٥١ من مجموع سكان الولاية الذين بلغ عددهم ٥٩٨٧٣٨٩.

وان نظـــرنا إلـــى العـــدد بـــدلاً من النسبة وجدنا أن أكثر عدد السكان المســـلمين فـــي الهند أعني ٢٤١٠٩٦٨٤ في ولاية أترابراديش، ثم في بنغال الغربـــية حيـــث يسكن المسلمون في عدد ١٦٠٧٥٨٣٦، والولاية الثالثة حيث يســـكن المســـلمون في عدد أكثر من عشرة ملايين أعني (١٢٧٨٧٩٨٥) هي ولاية بيهار، وهكذا يوجد أكثر من نصف عدد المسلمين (٥٥,٦٣ في المائة) في هذه الولايات الثلاث.

وكانـــت الولايات الشمالية الشرقية هي التي قد ارتفعت فيها نسبة الســـكان المسلمين أكثر مما سواها في السنوات العشر الماضية، يتضح ذلك من الإحصاءات المذكورة أعلاه تماماً.

وتزايد عدد السكان المسلمين في أروناجال براديش بنسبة ١٣٥,٠١ فـــي المائة، وفي ميزورم بنسبة ١٠٥,٨٠ في المائة، وفي ناغاليند بنسة ٧٤,٨٤ في المائة، بينما تزايد عددهم في ولاية ميغاليا بنسبة ٤٨,٣٤ في المائة، يتضح ذلك أيضاً بدراسة الإحصاءات دراسة دقيقة وقريبة.

وكان ارتفاع نسبة السكان المسلمين في بنغال الغربية وكيرالا أكثر من سائر الولايات، وكانت هذه النسبة في سنة ١٩٩١م أكثر من ٢,١٠ في المائة و٢,٠٨ في المائة بالنسبة إلى سنة ١٩٨١م، وهي أكثر من النسبة التي توجد في سائر الولايات، وإنما ولاية سكم هي الوحيدة التي كان ارتفاع النسبة فيها في سنة ١٩٩١م أقل مما كان في سنة ١٩١٨م، لأن عدد السكان المسلمين كان تزايد بنسبة ١,٠٣ في المائة في سنة ١٩٨١م بينما كانت هذه النسبة في سنة ١٩٩١م ٠,١٥ في المائة فقط.

هذا ونذكر ونقدم هنا جدولاً يرى الفرق فيما بين ارتفاع نسبة السكان من أتباع الديانات المختلفة في سنتي ١٩٨١م و١٩٩١م، ثم نذكر نسبة تمثيل المسلمين في القوات الهندية في مختلف الولايات، لكي نعرف مكانة المسلمين في هذه البلاد معرفة جيدة، والجدول كما يلي:

م	الديانة	سنة ١٩٨١م	سنة١٩٩١م	الفرق
١	الهندوس	./.٨٣,٠٩	./.٨٢,٤١	./.٠,٦٧
٢	المسلمون	./.١٠,٨٨	./.١١,٦٧	./.٠,٧٩
٣	النصارى	./.٢,٤٥	./.٢,٣٢	./.٠,١٣
٤	السيخ	./.١,٩٦	./.١,٩٩	./.٠,٠٣
٥	البوذيون	./.٠,٧١	./.٠,٧٧	./.٠,٠٦
٦	الجينيون	./.٠,٤٨	./.٠,٤١	./.٠,٠٧
٧	الديانات الآخرى	./.٠,٤٢	./.٠,٣٨	./.٠,٠٤

جدول تمثيل المسلمين في الشرطة

الولاية/ منطقة تحت المركز	عدد الشرطة الإقليمية	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
ولاية مهارا سترا	١٥٨٥٤٣	٦٦٣٣	./.٤,٢
ولاية آندهرا برديش	٦٣١٤٧	١٠٤٩٩	./.١٦,٦
أرونا جال برديش	٤٠٨١	لا يوجد	لا يوجد

ولاية آسام	٤٣٩٩٠	٣٩٣٦	./.٨,٩
ولاية بيهار	٨٣٣٣٢	لا يوجد	لا يوجد
ولاية غوا	٢٥٣٥	٧٣	./.٢,٩
ولاية غجرات	٦٣٠٩٢	٣٨٩٧	./.٦,٢
ولاية هريانه	٣٠٤٣١	٣٢٥	./.١,٧
هما جال برديش	١٧٤٦	١٦٣	./.١,٤
جمو وكشمير	٤٠١٨٠	١٨٠٤٥	./.٤٤,٩
ولاية كرناتكا	٤٩٣٢٢	٣٥٥٧	./.٧,٢
ولاية كيرالا	٣٤٣٧٥	٣٢٧٠	./.٩,٥
مدهيا برديش	٨٨٦٧٣	٣٧٢٠	./.٤,٢
ولاية منى فور	١١٠٣٢	٩٣٤	./.٨,٥
ولاية ميغاليا	٨٢٧١	١٥٨	./.١,١
ولاية ميزورم	٥١٥٢	٦٩٩	./.١٣,٦
ولاية ناغاليند	١٤٧٥٤	١٤٥	./.٠,٦
ولاية أريسه	٣٦٥٩٥	١٠٢٩	./.٢,٨
ولاية بنجاب	٦٣٣١٠	٢١٠	./.٠,٢
ولاية راجستان	٥٧١٦٧	٣٢٢١	./.٥,٦
ولاية سكم	٢٧٣٢	٧	./.٠,٢
ولاية تامل نادو	٦٩٠٢١	٣٠٢٤	./.٤,٢
الولاية الشمالية	١٦٣٨٧٥	٨٠٧٢	./.٤,٩
بنغال الغربية	٥٩١٣٧	٣٤٤٢	./.٩,٨
اندمان نكوبار	١٨٥٢	١١١	./.٥,٩
جندي كره	٤٠٨٦	٦	./.٠,٦
دادر نكر حويلي	٢٢٢	٥	./.٢,٢
دمن وديو	٢٣٦	٥	./.٢,١
دهلي	٥٠٧٩٨	١٦٠	./.٢,٣
لكشديب	٣٥٩	١٦٣	./.٤٥,٤
بانديجرى	١٨٦٦	٦٢	./.٣,٤

وقد كتب لنا الدكتور محمد يونس النجرامي عن المسلمين في الهند قبل استقلالها وبعده، وهو من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقد عاد إلى الهند بعد إكمال دراسته وبقي هناك، فرأت رابطة العالم الإسلامي الاستفادة من علمه وخبرته وإطلاعه الواسع على شئون السكان بعامة وعلى شئون المسلمين خاصة أن تعينه مستشاراً لها لشئون الهند مقيماً هناك، فكان يواصل إرسال التقارير والمقالات التوضيحية عن الأحوال المتعلقة بالمسلمين في تلك البلاد.

وهذا ما كتبه عن هذا الموضوع الذي أثبته على طوله لأنه مهم كما هو واضح.

المسلمون في الهند قبل استقلال الهند وبعدها دراسة لأمورهم وأوضاعهم:

يعتبر ٣١ من شهر ديسمبر عام ١٦٠٠ ميلادية يوماً ذا أهمية فائقة في تاريخ إنجلترا والهند حين أعطت ملكة بريطانيا إليزابيث إذناً عاماً بالشركة الهندية الشرقية لتبادل التجارة على أوسع نطاق مع البلدان الشرقية، وانتهز الإنجليز هذه الفرصة السانحة السائغة لبسط نفوذهم وسلطانهم، فأخذوا في التجارة الواسعة في بلاد جاوا وسومطرا.

وكان من سوء حظ ملوكنا المسلمين في بلاد الهند أنهم قد انخدعوا بكيد الإنجليز الذين لم يفدوا إلى الهند لغرض تجاري، بل جاءوا إليها مضمرين نواياهم الاستعمارية وألقوا على ذلك رداء التجار الكثيف، فإنهم استأذنوا الملك المغولي جهانكير للتجارة في الهند، فأذن لهم بهاعام ١٦١٣ الميلادي، فأسس الإنجليز مراكز تجارية واسعة في مختلف مدن

الهـند الكبـيرة كمديـنة سـيرت في غجرات، ومدينة آجرة وأحمد أباد وبهروج وبرودة، وركزوا كل العناية والجهد على توسيع التجارة.

ففـي مـدة طويلة أزدهرت تجارة الإنجليز واتسع نطاقها، وأستولت على الأسواق، ولما رأى الإنجليز ازدهار تجارتهم بدءوا يظهرون ما كانوا يخفونـه في صدورهم من نوايا استعمارية ومطامع خبيثة، فاستغلوا تدهور الاقتصـاد الهـندي وكذلك التدهور السياسي، فأرادوا أن يثبتوا أقدامهم لنيل المآرب والبغية التي كانوا يسعون لها ويتحملون المشقات من أجلها.

فـأولاً مهّـدوا الطـريق لإسكان القوات والجنود لصيانة الأجهزة والمحلات التجارية ثم تطرقوا إلى التواطؤ مع الأمراء النواب المحليين، وخلال هذه الفترة قد اعترى الحكومة المغولية الوهن والضعف والخلود إلـى الراحة ولا حقيقة لها إلا أنها أصبحت رمزاً للحكومة الإسلامية لم تكـن فـيها روح جديـدة وقوّة متفاعلة، ودم حار يجري في عروقها، وتجـردت عـن جمـيع الخصائص التي بها تكون الحكومة حيّة متدفقة بالحياة والحيوية والروح والنشاط وقوة الدفاع وصفة المغامرة والبطولة وروح التضحية والفداء والمخاطرة بالنفس والاقتحام في غمار المخاطر والسـير على صهوات الأشواك، فإن هذا كله قد دفع الإنجليز على بسط نفوذهـم وتحقـيق مطـامعهم، فبدوا يتدخلون علناً وجهاراً دون تخوف وإحجـام في شؤون البلاد السياسية وتدريجياً ترسخت أقدام الإنجليز في أرض الهـند، ولمـع نجم قوتهم، ونجحت الخطة التي تم إعدادها بأيدي المستعمرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية.

فكـان أول مـن نهض لمقاومة الإنجليز هو البطل المغوار سراج الدولـة فإنـه بدأ الحرب مع الإنجليز لإخراجهم من الهند وتحريرها من

غطرستهم فوقعت المعركة بين قوات سراج الدولة وقوات الإنجليز الذي كان يقودها لاردكالثيو في حلبة بلاسي سنة ١٦٥٧م.

ولكـــن من سوء حظ هذه البلاد أن سراج الدولة قد واجه الانهزام وفـــوض روحه إلى بارئها تعالى في ٢٣ من شهر يونيو من نفس العام، ولـــم تـــتحقق تلك الأمنية المعسولة التي كان يحلم بها، ويسعى لتحقيقها ويركـــز علـــى إنجازها جهوداً مكثفة، وإن انهزام سراج الدولة لم يكن بســـبب فتور همته وخوار قوته إنما كان نتيجة غدر وخيانة ومكيدة نسج خـــيوطها بعـــض أفـــراد خاصته الذين كانوا يظهرون له الولاء والحب ولكـــنهم كانوا يرتبطون بالإنجليز ارتباطاً وثيقاً، ويواصلون إليهم جميع الأنـــباء والأســـرار الحربية، فكان من هؤلاء الخائنين الغدرة مير جعفر ســـيته جكـــت راثي، ولبهرام، أوى جند موهن لال، غووند رام متهرا، وتاريخ بلاد الهند لن ينساهم ولا جرائمهم التي اقترفوها.

ولـــم تخبُ بعد هذه الكارثة الأليمة المخزية جذوة تحرير البلاد من الأجانـــب فـــي نفـــوس المسلمين وأمرائهم الغيارى المتحمسين لصيانة الإســـلام وعـــزّته ومجده وبهائه وروائه، فبين فينة وأخرى قام المغاوير المســـلمون ضـــد الاستعمار البريطاني فمن أولئك الأبطال البواسل أسد ولاية ميسور تيبو سلطان الذي لم يزل مصدر قلق واضطراب للإنجليز، وكـــان شـــوكة لا يستطيع الإنجليز دفعها، وقلعة منيعة لا يقدرون على فـــتحها، وعاصفة هوجاء لا يمكن لهم أن يصرفوا وجهتها، وبطلاً فذاً لا تثبـــت أمام صلابته وشكيمته جبال راسيات فكان يؤرق الإنجليز فيبيتون وهـــم ســـاهرون مضطربو البال موزعو القوى مشتتو الفؤاد، وكانوا لا يســـتطيعون أن يذيقـــوه هـــزيمة فدبّروا ودرسوا، وانتهى بهم الأمر إلى

مكـيدة، فكـادوا، ووطدوا صلتهم بأصحابه الخونة الغدرة الذين كانوا موضع أسـرار له، فـنجح الإنجليز في غايتهم وهزموه بعد جهد طويل، فقتلوه في ٤ من شهر مايو عام ١٧٩٩م في سوق رنغا فتتم لولاية ميسور.

ولسنا نحن بصدد سرد تفصيل هذا أحوال البطل العظيم ولكن يجدر بـنا الإشـارة إلـى أنه لم يواجه الخيبة والهزيمة في المعركة إلا بسبب جنوده الذين خذلوه وحيداً فريداً، حتى تحصن، وصمد للقوات الإنجليزية ولـم تـوذن الشـمس بالغروب حتى فتح أحد الخونة باب القلعة فدخل الإنجليز فيها، وقتلوا أهلها وأضرموا النيران في داخل القلعة، والمصير لا يحتاج إلى مزيد من الكلام، وشجع هذا الانتصار الكاسح الإنجليز حتى قال قائد الجيش "من اليوم الهند لنا".

وفي عام ١٨٥٧م هبت ريح عامة لتحرير الهند من مخالب الاستعمار البريطانـي فكـان المسـلمون وقـادتهم هـم الذين في طليعة هذه الحركة الاسـتقلالية فأسهم فيها آخر ملوك الهند المغوليين بهادر شاه ظفر والنواب أحمـدالله شـاه، والمملكة لكشمي بائي، وتانيا توبه مساهمة جبارة، واكتووا بـنارها، ولكـن كـان مـن سوء حظ هذه البلاد وشقاوتها أن هذه الحركة الاسـتقلالية قـد واجهت الإخفاق والفشل بأسباب عديدة فمنها تواطؤ بعض أمـراء الهـند مع الإنجليز لإرضائهم وتحقيق مآربهم، ومنها تسلح القوات الإنجليزية بأحدث الوسائل العسكرية والخبرة الكافية والمعرفة التامة الدقيقة باسـتراتيجية الحـرب، وسمى الإنجليز هذا الجهد العظيم الذي بذل لتحرير الهند ثورة، والحقيقة أن هذه المقاومة والنضال لم يكن ثورة إنما كان حرباً ونضالاً بريئاً ومقاومة نزيهة لإخراج الإنجليز من هذه البلاد.

وبعد ما هدأ الوضع وسكن وعاد الأمر إلى الإنجليز وضعوا السيف فـــي المســـلمين وقاموا بجلاء الملك المغولي بهادر شاه ظفر إلى مدينة رنغون في بورما حيث مات موتاً أليماً في السجن، وقتال ثلاثة عشر ألفاً من أكابر علماء المسلمين وأربعة مائة وألف من عامة المسلمين في هذه الثورة، والجدير بالذكر أن هذه الحرب اشترك فيها المسلمون والهندوس جميعاً شأواً بشأو ونعلاً بنعل، ولكن القيادة كانت في أيدي المسلمين لأن الحكومـــة قد سلبت منهم فكانوا أكثرهم وأشد تحمساً من الآخرين وأكثر شـــعوراً بالألم والرزيئة، فكانوا مستهدفين حقاً لغضب الإنجليز وسخطهم فلذلك أن الإنجليز لم يكتفوا بإبادة المسلمين وفتكهم، بل أهانوا كل ما يمت إلى المسلمين بصلة من مساجد ومقابر ومراكز إسلامية ومؤسسات دينية وتربوية وجرحوا مشاعرهم.

وقد فرضوا الحظر على الصلاة في المسجد الجامع بدلهي، واستمر هذا الحظر سنتين ونصفاً، وخلال هذه كم حنّت قلوب المسلمين إلى تأدية الصـــلاة فـــي هـــذا المســـجد، و الخضوع فيه لربّهم، وإن له في قلوب المســـلمين تقدساً ويعتبر علامة لشوكتهم وعظمتهم ومجدهم في هذه البلاد، ولم يكـــتف الإنجلـــيز بإهانة المسجد وتجريح مشاعر المسلمين بل إنهم ضيقوا في إتـــيان العبادات على المسلمين وقد صدر إعلان من الإنجليز ببيع هذا المسجد الجـــامع بالمـــزاد ولكـــن رجـــلاً من المسلمين فياض الدين ميرتى دفع الثمن لتحرير المسجد ثم قام بوقفه للمسلمين.

ولا يمكـــن لمؤرخ أن يهمل جانب ما فعلته أسرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي وبذلت من تضحيات جسام لتحرير بلاد الهند فإن ابنه الشاه عـــبدالعزيز أفـــتى بالجهـــاد الإسلامي ضد الإنجليز واعتبر الحرب مع

الإنجليز جهاداً إسلامياً ولمْ يكتف بالإفتاء، بل ساعد في تعبئة جيش إسلامي بقيادة الإمام السيد أحمد بن عرفان البريلوي وحرض الناس على الاندماج في هذا الجيش فاشترك فيه ابن أخيه الإمام إسماعيل الشهيد، وزحف الجيش الإسلامي، وخرج هذا المد الإسلامي لمقاومة الإنجليز فخاض في كثير من المعارك الطاحنة، حيناًقد انتصر وحيناً آخر واجه الفشل.

واستمرت الحرب بين هذا الجيش المتحمس لإعادة مجد الإسلام السالف وبين القوى الإنجليزية وحلفائها مدة طويلة حتى هابه الإنجليز، وتنغصت به حياتهم، فأحسوا الخطر من قبل هذه الحركة الإسلامية فلم يدخروا وسعاً في اقتلاع جذورها، حتى وقعت معارك عديدة في مختلف مناطق الهند، ووقعت المعركة الأخيرة في ميدان بلاكوت سنة ١٨٣١ الميلادي، ودارت هذه الحرب بين الحركة الإسلامية التي كان يقودها الإمامان السيد أحمد وإسماعيل الدهلوي وبين السيخ الذين كانت القوات الإنجليزية تساعدهم وتزودهم بالأسلحة الفتاكة أبلى فيها المجاهدون بلاءً حسناً، وأظهروا فيها الأعاجيب، ولكن الله قدر لهذه الجماعة الهزيمة الظاهرة فرزق قائده وساعده الأيمن الشيخ إسماعيل الدهلوي وكثيراً من المجاهدين الشهادة، ففازوا وظفروا بهذه النعمة والمكانة الرفيعة.

ولم تتوقف مسيرة ما بدأه السيد أحمد بن عرفان الشهيد وإسماعيل الشهيدين من الجهاد والمقاومة الإسلامية ضد الطموحات الاستعمارية الإنجليزية على شهادتهما وشهادة كثير من أصحابهما، بل واصل حركتهما الجهادية سفرها الشاق المضني برغبة وحماسة وجد ونشاط موفور، فلما وضعت معركة بالاكوت أوزارها ونجا من نجا من المجاهدين فلجأ الفلُّ إلى الجبال ولم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند

قائمين على الحق باذلين في ذلك النفس والنفيس، و الإنجليز يطاردونهم ويطاردون أملاكهم وأموالهم ويحاكمونهم محكمات طويلة عريضة، وهم صابرون محتسبون لا يضطربون ولا يتزعزعون.

وكان الشيخ عنايت علي والشيخ ولايت علي من رفقاء السيد أحمد الشهيد اللذين واصلا جهادهما ضد الإنجليز في بنغال المنطقة الجنوبية الشرقية من الهند مؤلفة من المسلمين فيها، وكان الإنجليز مستشاطين محنقين ومضطربين فقاموا بشنق عدد كبير من المسلمين وكذلك قاتل الحافظ محمد ضامن ومعه آلاف وآلاف من علماء المسملمين الإنجليز في ميدان شاملي، فمعظمهم نالوا الشهادة، واستشهد آلاف من المجاهدين في صادق فور المنطقة الشرقية للهند، وكان من الذين نالوا درجة الشهادة في معركة صادق فور ملالال قندهاري والمولوي مظهر علي وغيرهما من العلماء الكبار والذين اكتووا بنار حرب تولى عدد كبير من العلماء المسلمين وكان منهم المولوي نصير الدين منغلوي والشيخ عبدالله بنارسي والشيخ نظام الدين شاه جهان فوري، وقد شنق فضيلة الشيخ أحمد الله في قضية مؤامرة أوده في مدينة فيض آباد.

وبدأ محاكمة المتآمرين في الهند، ودامت مدة طويلة، وحوكم عدد من قادة هذه الحركة كان على رأسهم وفي مقدمتهم الشيخ يحيى على العظيم آبادي والشيخ أحمد الله العظيم آبادي والشيخ جعفر علي التهانيسري والشيخ عبدالرحيم الصادق فيري حكم عليهم بالإعدام ثم بدل هذا الحكم بالنفي المؤبد إلى "بورت بلير" اندمان في جزائر سيلان.

وتاريخ هذا الجهاد الطويل والبطولات النادرة والأدوار الرائعة التي

أداهـــا العلمـــاء المســلمون موضوع كتاب مفرد وسفر مستقل لا يمكن الإحاطة بمآثرهم المشرقة واستقصائها في هذه العجالة.

لا شــك في أن المسلمين في الهند منذ بداية قدوم الأجانب إليها لم يرضـــوا باقبالهم واندفاعهم وتواجههم نحوها، فلما حاول الأجانب تثبيت أقدامهـــم في قلب الهند نهض المسلمون قائمين مناضلين مكافحين ضدهم كمـــا أن المسلمين في ما لابار نشبوا الحرب مع الحكومة البرتغالية عام ١٥٠٠م وكـــان المســلمون المالاباريون معروفيـــن بالمهارة والبراعة في الحـــرب، وكـــانوا يصلون أنسابهم إلى أسرة كجالي الشهيرة، وينحدرون منها، وفـــي ســـنة ١٥٨٥م وقعـــت المعركة بقيادة كتا موسى ابن أخ كجالي وبدأت ثـــورة موبلار سنة ١٨٠٠م كان يقودها حيدر سوكتي، فإن الإنجليز قد صبوا ظلماً قاسياً على الثوار ومن كانت له مساهمة في إضرام نار الثورة.

وفي عام ١٩٢٢م أيضاً قد شهدت موبلادار مشهداً مؤلماً عنيفاً أشد العـــنف حيـــن ثارت قبيلة نوائط (وهذه القبيلة مشهورة وعامة تسكن في مـــدن جنوب الهند وخاصة في مدينة بهتكل وماجاورها من المدن) على الإنجلـــيز وقـــاد هذه الثورة سدى محمد بابو الذي كان والد القادر باشا النائطـــي، وخـــالاً لركن الدين شبير، فإن السدى محمد قد أبدى بطولته العجيـــبة النادرة وألجأ الإنجليز وجنودهم إلى التراجع والتقهقر ولكن من المؤسف جداً أنه لم يلبث أن انقلبت ثورته الناجحة الكاسحة اخفاقاً وفشلاً، وبعد اخفاق ثورة موبلادار قد اختفى، وترك وطنه المالوف الذي نشا فيه واستنشـــق هـــواءه، وأريجـــه وتوجه شطر مدينة بهتكل يركب الباخرة، وحظـــر الإنجليز عليه دخوله في مالابار، وبعد أن نالت الهند استقلالها ذهب إلى كاليكوت حين توفي ودفن.

ولمسلمي مدينة ميرت بولاية إترابرديش إسهامات جليلة وتضحيات جسـيمة في تحرير الوطن من براثن الإنجليز وما أكثر ما ساهم مسلمو مـيرات، وولايـة راجستهان في هذه الحركة الاستقلالية، وما أكثر ما شاهدت منطقة ميوات حين أحرقت قراها وأريافها برمتها.

وهـذا بما أومأ به المستر كلفيورد عند ما جر الثائرون أخته وهي عاريـة فـي جاندني جوك بمدينة دهلي، وما قام به المستر كلفيورد من اعـتداءات قاسـية ومظالم رهيبة لا تزال تردد وتحكى وتنقل إذا ذكرت قصص الاعتداءات على الإنسانية،ولاسيما إذا ذكر المسلمون وما منوا به من ظلم ووحشية في فترات مختلفة من التاريخ.

وفـي بدايـة هـذا القرن العشرين قام فوج كبير وسيل عارم من العلمـاء والمتحمسـين للديـن الإسـلامي لمقاومـة طموحات الإنجليز الاسـتعمارية، فمن أجل هذه الغاية أنشأ شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبـندي حـركة قوية عظيمة التأثير سريعة الانتشار واشتهرت هذه الحركة بحركة المنديل الحريري، وفي مدة غير طويلة ذاع أثرها وشاع مـا أعدته من مخططات وبرامج، ولكن الله لم يقدر لها أن تنجح، وهو أعلـم بمـا خـبأ لها من حكم وأسرار، ولكن لو أنها قد نالت النجاح في غايـتها وفـيما تـروم إلـيه من تغيير سياسي بل وتغيير القيادة لتقلبت الأوضاع والاتجاهات التي تكون سائدة حين ذاك، وكان قائد هذه الحركة رجلاً ألمعياً فذاً محنكاً، فحاول توطيد الصلات مع القيادات الإسلامية في العالم الإسلامي وجاب من أجلها في كثير من البلدان، وأرسل كثيراً من القواد والأمراء والحكام، فبصدد ذلك قد باح سره وألقى عليه القبض حين كـان فـي مكة المكرمة وتم القبض عليه بإيعاز من رئيس مكة الذي قد

ارتكب هذه الجريمة لإرضاء الإنجليز.

وفـــي عهــد تحمـــل عـــدد كبير من العلماء محن النفي والسجون وتجـــرعوا مرارة أليمة في سبيل تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني ونفـــوذه الجائـــر الغاشـــم فكان على رأسهم ومقدمتهم الشيخ عبدالرحيم الســـندهي، ومولانـــا حســـين أحمـــد المدني الفيض آبادي ثم الديوبندي مولانا عـــبدالله الســـندهي، ومولانا محمد علي جوهر رامفوري وأخوه الأكبر شوكت علـــي ومولانـــا حسرت موهاني، ومولانا عبدالحليم الصديقي، والدكتور السيد محمـــود بهـــادر يارجـــنغ، والدكتور الأنصاري والطيب أجمل خان، ومولانا أبوالكـــلام آزاد كلكـــتوي ثـــم الدهلـــوي، ومولانا حفظ الرحمن السيوهاروي ومولانا سعيد أحمد أكبر آبادي، والدكتور سيف الدين كجلو.

حركة تحرير الهند ودور النساء المسلمات:

وللنساء المسلمات دور عظيم بارز يجدر بالذكر والتنويه والإشادة ولهـــن إسهامات ضخمة رائعة في سبيل تحرير البلاد تحتاج إلى كشف القـــناع عـــن وجهها، فكانت (حضرت محل) امرأة فيها غيرة وحماسة وانفـــة وازدراء للســـيطرة البريطانـــية، فإنها قامت بتعبئة جيش نسائي لمقاومـــة الإنجلـــيز، واشـــتركت فـــي الجيش الذي أعدته إماء القصر وجواريها اللاتي لا يعرفن إلا القيام والخدمة والاتيان بما يؤمرن ولكنهن اشـــتركن فـــي الجيش وتجددت بمساهمتهن ذكريات الماضي حين قامت المســـلمات الباســـلات بـــأدوار رائعـــة مسفرة، واستمرت الحرب بين (حضـــرت محـــل) والقوات الإنجليزية حوالي عشرة أشهر فإنها كانت صامدة أمام الإنجليز صمود الجبال الراسيات، لا تعرف الوهن والضعف

والاستكانة، وكادت الحرب لا تنتهي.

ولما رأى القائد الإنجليزي أورم أن الوضع لا يمكن أن يهدأ ولا يسكن بل إنه لا يزال يتسع ويتفاقم يوماً فيوما، فإنه عرض عليها شروط الصلح، ولكن تلك المرأة الأبية قد رفضت عرضه وأبت إلا أن تواصل الحرب مع الإنجليز، وفوق ذلك قدمت الملكة فكتوريا العذر إليها وطلبتها العفو والسماح، ولكنها ألحت على الرفض والإنكار وما لانت عريكتها، ولا ساومت ضميرها الغيور ولا رضيت بما قدمت إليها الملكة البريطانية من عذر وطلب العفو.

ثم لم تلبث إلا أن غادرت مدينة لكنو وطنها المألوف، وهاجرت إلى نيبال حيث أتاها اليقين فسلمت روحها الزكية إلى بارئها تعالى.

والتاريخ لن ينسى أصغرى بيجم القاطنة بتهانا بهون ولاية أترابراديش التي أحرقت وقد كانت حية بسبب تهمة الاشتراك والإسهام في الثورة، وكذلك أصدرت الحكومة البريطانية حكمها لشنق امرأتين مسلمتين إحداهما حبيبة والأخرى رحيمن بما أن لهما إسهاماً فعالاً في حركة تحرير البلاد، وكانت هاتان المراتان ترتبطان بقرية لمديرية مظفر نغر ولاية اترابراديش، وإن هناك عدداً لا يستهان به من النساء المسلمات لهن خدمات باهرة ودور إيجابي بناء في مجال إنقاذ الوطن من نير الاستعمار البريطاني، ومن أولئك النساء النجيبات الجرئيات أم مولانا محمد علي جوهر ومولانا شوكت علي التي حرضت ابنيها على التضحية والفداء والبطولة في سبيل تحرير البلاد، وشجعتهما عند كل غائلة ومحنة وشاركت هي أيضاً في الحركة الاستقلالية ونفخت روحها

في كثير من الشبان والأطفال وأوقدت شرارتها في نفوس النائمين الساهين اللاهين الذين يغشاهم الوجوم والسهو والغفلة عما يدور حولهم من أحوال ووقائع، وإني لو لم أذكر حليلة مولانا حسرت موهاني: نشاط النساء التي لها دور بارز في تعضيد زوجها وتعزيز جانبه وتقويته في كل مرحلة وطور من أطوار رحلة تحرير البلاد لكان هذا خيانة تاريخية بل وجناية تاريخية فإنها رافقت زوجها حذواً بحذو في شقائه وسعادته وفي حلوه ومره، ولما حوكم علي مولانا حسرت الموهاني من قبل الإنجليز فإنها كانت من تسلمت رصيد المحاكمة، وكم من مرة ذهبت إلى المحكمة من أجل قضية ومحاكمة زوجها.

أما شخصية مهاتما غاندي فمن الواجب أن نعرف أن غاندي لم يكن معروفاً في الأوساط الهندية، ولم يكن له صلة وعلاقة بشعب الهند، إنما نشأ في الهند وتعلم ثم سافر إلى لندن لإتمام التعليم ثم توجه إلى إفريقيا، وهناك كان يعيش حياة الخمول والذبول، ولم تكن له مكانة وشهرة إذا به طار صيته وذاعت شهرته، وهذا كله بما كانت له علاقات قوية بالمسلمين منذ مرحلة بداية التعليم في الهند، ثم في لندن وفي إفريقيا أيضاً، ولذلك فإننا نرى أنه حين آب إلى الهند من إفريقيا عام ١٩١٥م فكان أول من عرف به هم المسلمون ولاسيما العلماء، وعلى مقدمتهم مولانا محمد علي جوهر وأخوه الأكبر مولانا شوكت علي ومولانا عبدالباري فرنجي محلي، ولآخر الذكر يد كبيرة في القيام بتعريف غاندي في الدوائر الهندية، كما ذكر أن مولانا عبدالباري قام بجولة على الصعيد الهندي بالقطار ورافقه غاندي فكان يقف على كل محطة بما يمر بها، ويعرف الناس بشخصة غاندي، فقصارى القول أن كل ما ناله غاندي

وأحـــرزه مـــن مكانـــة وشهرة وصيت فائق، وجاه عريض كله يرجع إلى أيـــادي المســـلمين الذين كانوا لا يعرفون ضيق النظر ولم يذوقوا التعصب، وإنمـــا كانت صدورهم تجيش وتغلي بما يمكن به تمهيد الطريق إلى تحرير البلاد سواء في ذلك المسلمون والهندوس.

ولعـــدم ضـــيق النظر لعلماء المسلمين ترى عدداً كبيراً من المثقفين والخريجيـــن من الكليات والجامعات العصرية كانوا يرافقون العلماء، وكان العلمـــاء المسلمون معنيين بهم، ولهم مكانة في قلوبهم ويعتبرونهم زاداً قوياً للرحلة الاستقلالية.

حزب المؤتمر الوطني وإسهام المسلمين فيه:

ممـــا لا شـــك فيه أن الحزب المذكور هو الحزب الوحيد الذي نال تعطف المسلمين منذ تأسيسه في ٢٥ من شهر ديسمبر ١٨٨٥م بيد رجل إنجلـــيزي (A.Q HUME) وكـــان الغرض لإنشاء هذا الحزب توحيد جماهير البلاد وتركيزها، وتحقيقاً لهذا الغرض الهادف البناء بدأ الحزب سلســـلة عقد المؤتمرات واللقاءات على الصعيد الوطني في مختلف مدن البلاد، فانعقد مؤتمره الأول في مدينة كلكتا تحت رئاسة المحامي الشهير (W. C. BAMERJI) اشـــترك فيه ٧٢ ممثلاً من مختلف مدن الهند، ومن بينهم ممثلان مسلمان رحمت الله سایاني وعلي محمد فهيم الذي كان وطـــنه مديـــنة بومباي، وبعد حفلته الأولى بدأ نطاق الحزب يتسع قليلاً فقليلاً، وجعل المسلمون يقتربون منه ويبدون تعاطفهم ورغبتهم فيه حتى نجـــد عـــدداً من المسلمين الذين تبؤوا منصب رئاسته قبل تحرير الهند، فإنهم هؤلاء بدر الدين طيب جي، ورحمت الله سایاني، محمد علي جناح،

حسن إمام، حطيم اجمل خان، مولانا محمد علي جوهر، الدكتور مختار أحمـد الأنصاري، مولانا أبوالكلام آزاد، وهؤلاء الذين لهم دور إيجابي فـي تطويـر المؤتمـر الوطني، ولهم تضحيات جسام لن تنسى، إنما لا يجحدها إلا جاحد والجدير بالذكر أنه بعد نيل الهند استقلالها لم يعين أحد من المسلمين رئيساً لهذا المؤتمر إلى الآن خلال فترة خمسين سنة، وأن لـه أسـباباً وامـتدادات تـرجع أصولها إلى فكرة خاصة وهي الفكرة الهندوسـية، فـإن الحرب قد وقع في دوامة هذه الفكرة بل أصبحت هذه الفكرة قوة موجهة رئيسية له وأساساً لا يمكن عنه الحياد، وسيطرت عليه الفكـرة السرهمنية التي تعتبر المسلمين عدواً لدوداً فإن المسلمين قد قلت رغبـتهم فـيه وانحسـر عددهم، واليوم يمثل هذا الحزب فكرة يتحملها الطبقات العليا من الهندوس.

حقيقة الحرية:

نعنـي بالحـرية حـرية الفرد بحيث أنه يكون حراً طليقاً في ممارسات أعمالـه وشئونه ما يشاء، وكيف يشاء لا تفرض عليه ضغوط، ولا توضع في سـبيله عراقـيل وعقـبات قانونية، وكانت شخصيته مصونة من كل نوع من أنـواع الظلـم والاعـتداء والقسـوة، وليس لأحد أن يلقي عليه القبض بدون محاكمـة قضـائية، وله خيار وحرية تامة أن يذهب وينطلق حيث يشاء خارج بلـده فـي الـبلاد، أو خارج البلاد بالإجازة، وتعتبر حرية الفرد أمراً يستحق الاحـترام والتقدير والعناية البالغة به في كل مجتمع إنساني نزيه بصفة تجعل الفـرد ذا قيمة وأهمية لا يمكن الظلم عليه، وعلى عرضه وماله، ومن ارتكب هـذه الجـريمة الـنكراء واعتدى على شخص في عرضه وماله فإن له عقاباً رادعاً وجزاء مخزياً لا يستطيع عليه صبراً ولا أن يتخلص منه.

وانطلاقاً من هنا يجب علينا أن نقوم بتحليل دقيق لأوضاع المسلمين في هذه البلاد وما أحرزوه من حرية لممارسات أعمالهم الدينية، وكذلك ينبغي لنا أن نتعرف على مدى إحرازهم المنافع مقابل ما بذلوه من مجهودات جبارة في سبيل تحرير الهند منذ أن بدأت الحركة الاستقلالية، وعلى ما جنوا من ثمار حلوة أو مرة، وما تكرموا بالعز والكرامة والمناصب الرفيعة من قبل الهند، هذا هو الجانب المؤلم المظلم الذي يدفعنا إلى تقديم الحقائق والوقائع التي عاش خلالها المسلمون ولم يزالوا يعيشون اليوم في هذه الدولة التي قاموا بتطريز جنباتها وحواشيها، وأراقوا من أجلها دماء قانية، ولم يبخلوا بما كانوا يملكون من قوة ووسائل لأدنى لمحة ولوقفة قصيرة.

وقفة مع المسلمين بعد تحرير الهند:

(لو جمع كل ما أريق من دماء المسلمين الزكية في الاضطرابات الدامية بعد استقلال الهند في موضع واحد لغرق بناء البرلمان أكبر بلاد ديمقراطية من بين دول العالم في بحر من الدماء القانية).

لقد مُني المسلمون وظلموا ظلماً شديداً فانفتح عليهم باب المؤامرات والخديعة والغدر والخيانة وسلب الحقوق، والانتهاكات والاضطرابات الطائفية، فالمسلمون دائماً منذ استقلال الهند في ضيق وحرج ولا يخرجون من أزمة مشكلة فما أسرع ما يقعون في أزمة أخرى، وجميع أبواب الرقي والازدهار مغلقة عليهم، فليس لهم تمثيل تقر به العين في الجهاز الإداري ولا في الوظائف الرسمية ليست لهم إمكانات وفرص يستطيعون بها أن يقطعوا مسيرة الرقي والتقدم وغلقت عليهم أبواب التعليم ونتيجة لذلك صار المسلمون متخلفين أسد التخلف في مجال

التعليم، وكانت مساجدهم ومراكزهم العلمية والدينية في خطر شديد وكل يـــوم يرى وتشاهد مناظر مسرحية تعبث بها بكرامتهم وعواطفهم، وكم أريقت دماء المسلمين منذ استقلال الهند إلى يومنا هذا، وكم واجهوا أقسى المعانـــاة وأعنفها وأشدها في مختلف مجالات الحياة، وكم فرضت عليهم ضغوط عدوانية جائرة وبذلت جهود مكثفة لاسيئصالهم بأساليب مختلفة.

وفـــي الوقت الذي كانت أنديرا غاندي رئيسة الوزراء للهند ارتكب وزيــر لها جريمة نكراء بحيث إنه قد قضى على حيثية الإستقلالية التي كانـــت تتمـــتع بها جامعة عليجرا الإسلامية إذ إن هذه الحيثية هي التي كانت شارة لها تمتاز بها، ولكن الذهن الطائفي حاول القضاء عليها، وبعد ذلك انفجر غضب المسلمين، وتوحدت صفوفهم لإعادة مكانتها التي كانت علـــيها سابقاً، وبعد جهد طويل أعيدت إليها حيثيتها وإن هذه في الحقيقة مؤامـــرة خطـــيرة ضـــد مراكز المسلمين التعليمية في هذه البلاد ليكون المسلمون مقطوعي الأيدي في مجال التعليم والثقافة.

وإن هـــناك شـــبكات متـــنوعة للمؤامـــرات الهدامة الخطيرة ضد المســـلمين فـــي هـــذه الـــبلاد ومن بينها محاولة القضاء على الأحوال الشخصية للمسلمين، وفرض القانون المدني الموحد عليهم محلها.

ويجدر بنا أن نذكر هنا تقريراً لواحد من أعضاء البرلمان راميشور ســـنغ، كشـــف في تقريره عن وضع الجهاز الإداري والكيان الحكومي فـــيقول: إن الطبقة البرهمنية التي تبلغ نسبتها ٣٪. بالنسبة إلى مجموع ســـكان الهـــند لا تزال تمتلك ناصية البلاد منذ استقلالها فإن هذه الطبقة مسيطرة على جميع المناصب الحساسة فمثلاً محافظو هذه الطبقة لمختلف الولايات ٥٠٪. والسكرتير للحكومة المركزية ٤٦٪. ورؤساء الجامعات

٨٧./. والسكرتير للوزراء ٥٧./. والقضاة للمحكمة العالية ٥١./. والسفراء الدبلوماسيين في الدول الخارجية ١٤./. والمسئولون عن المؤسسات الرسمية ٥٧./..

ويمكن للقاري من خلال هذه الحقيقة الباهرة أن يدرك تغلغل الطبقة البرهمنية في مختلف مجالات الكيان الحكومية والآلة الإدارية.

وقدم خشونت سنغ الصحفي الشهير إحصاءاً في جريدة (SUNDAY TIMES) الصادرة في ١٩٩٠/١٢/٢٩م ذكر فيه نسبة تغلغل مختلف الطبقات الهندية في الجهاز الإداري، وهذا الإحصائي يحتوي على فترة طويلة أي منذ سنة ١٩٣٥م إلى ١٩٨٢م وهذا ما يلي:

سنة ١٩٣٥م	سنة ١٩٨٢م	الطبقات
٤٠	٧	الطبقة الكاثيستية
٣٥	٣,٥	المسلمون
١٥	١	المسيحيون
٠	٩	الطبقة الشيدولية (المختلفة)
٣	٧٠	الطبقة البرهمنية

ويتجلى من خلال الإحصاء المذكور أن نظام الهند السياسي والآلي قد ارتكز في طبقة خاصة تحمل نظرية متطرفة متعسفة، وإن هذا الارتكاز قد سبب أضراراً بالغة للمسلمين أكثر من الطبقات الهندوسية المتخلفة وهذا لأن طبقة (دلت) والطبقات الوضيعة من الهندوس كانت تتمتع بضمانات وتحفظات، وكانت في جنة ونعيم بها، ثم إن لجنة مندل ضغطت على الحكومة الهندية على إعطائها ضمانات وتحفظات أكثر وأوسع من قبل، وبالعكس أن المسلمين لم يزالوا في حرمان من حقوقهم

الأساسية التي يوفرها لهم دستور البلاد، ولم يكن الحرمان والتعاسة مقصوراً على جانب الحقوق والتحفظات فحسب، بل أحرقتهم النزعة العنصرية والطائفية في نار من الاضطرابات الهائلة على الصعيد الوطني، فأحرقت بيوتهم، وهدمت مساجدهم، وذبحت رجالاً ونساء وأطفالاً، وهتكت الأعراض، وسرقت أموالهم، ونهبت ثروتهم، وغلقت عليهم أبواب الرقي والتقدم، وأثيرت الشكوك والشبهات ضد مراكزهم التعليمية والمؤسسات الدينية، ووجهت سهام النقد والغدر والخيانة إلى الشخصيات الإسلامية في الهند، وأبيدت تجارتهم في مختلف مدن الهند ليكونوا ضعفاء اقتصادياً، وفرضت ضغوط قاسية على المهن التي يمارسونها ويديرونها في البلاد، وكوّنت قوات عسكرية متطوعة لقمع وجودهم وترويعهم وإرهابهم لئلا يستقر لهم الأمن، والطمأنينة والهناء، وهدوء البال.

وبالجملة أن المسلمين في الهند لا يزالون موضع فنون من الأهداف الخطيرة وفي وجه التحديات التي تشكل عليهم خطراً كبيراً لهويتهم ولدينهم ولكل ما يمت بصلة إليهم وإلى الإسلام، فإن المسلمين صاروا غرباء أجانب في البلاد التي ضحوا في سبيل تحريرها من مخالب الاستعمار بكل نفيس وغال، ولم يحجم آباؤهم عن آية تضحية في سبيلها فلم تتحقق للمسلمين أمنياتهم وأحلامهم التي رؤها في الماضي، فهل للمسلمين أن ينهضوا من جديد ليحرروا هذه الدولة من النزعة البرهمنية الطائفية؟

التعصب الهندوكي

قضية القانون المدني الموحد:

عندما كان دستور الهند تحت الوضع، أثيرت قضية القانون المدني الموحد بقوة، ثم هدأت، وبعد ذلك أثيرت عدة مرات.

وينبغي عرض جوانب من هذه القضية بذكر بعض المباحث التي كانت أثيرت في تلك الأيام وكانت موضع البحث والنقاش، فيوجد أقوام من الهنادكة المتخلفين في جنوبي الهند يقدمون بناتهم الصغيرات السن نذراً لمعابد إله لهم خاص، يقربونهن له، ثم تصبح تلك البنت زوجة وعروساً لذلك الإله بعد القيام بتقليد خاص من تقاليدهم، فيعتبر معارضاً ومخالفاً لدينهم الهندوكي، ويعني ذلك أن تلك البنت لا يمكن أن تصير زوجة قانونية لرجل من الرجال، ولكنها يمكن أن تكون زوجة غير شرعية، فيضم الراغبون في ذلك أمثال هؤلاء الفتيات إلى بيوتهم عموماً.

وإن لم تجد فتاة من يجعلها زوجة له غير شرعية فإنها تدخل في زمرة البغايا، ويقال لأولاد هؤلاء النسوة منبوذين، وحينما ظهر المعنى الحقيقي الصحيح لهذه الكلمة جعل أتباع المستر غاندي يجتنبون استخدام هذه الكلمة.

هذا ولما أثيرت قضية القانون المدني الموحد نشأ السؤال: ماذا يفعل بهذا النوع المذكور من النساء؟

فكان بعض من محبي الإنسانية والقومية قد اقترحوا أن يقوموا بتزويج أمثال هؤلاء النساء، وأخيراً بذلت امرأة كانت ذات منصب كبير في ولاية من ولايات جنوبي الهند قصارى جهدها فعلاً في تزويجهن، ولكن هناك عوائق من الديانة والتقاليد والأعراف في هذا السبيل، وكان يعوق أيضاً عدم وجود الشباب الذين يتزوجون بأمثال هؤلاء الفتيات، فإن

هؤلاء الفتيات منبوذات ومن طبقات مختلفة، فلا يمكن أن يتزوج بهن الشباب من طبقات عالية، وأما الشباب من طبقات المنبوذين المتخلفة فلا يستطيع أن يتزوج بهن إلا من يستطيعون القيام بالإنفاق على أسرهم وسكناهم، وكانت هذه الأمور مما كان يصعب القيام بها، فلأجل ذلك لم يكن من الممكن أن تتزوج هؤلاء العرائس المنسوبات إلى الآله.

فإذا كان الأمر كذلك كيف يقوم القائمون بوضع القانون المدني الموحد بمعالجة هذه القضية وحلها.

قضية أخرى:

وهي أيضاً من أعقد القضايا وأصعبها عند كفار الهند، ففي الهند في وديان في جبال الهملايا وما جاورها من القرى والأرياف تجري العادة أنه مهما كان عدد الإخوة، لا يتم عقد الزواج إلا لأخ واحد، وتعتبر زوجته زوجة لجميع الإخوة، ويعتبر أولاده أولاداً شرعيين لجميعهم، وقد ظهر لهم من فساد هذه العادة الأكبر وعيبها الأعظم أن العاملين بها تعم فيهم الأدواء الجنسية والأمراض النفسية.

وتجري محاولات كبيرة منذ مدة طويلة لأن تنتهي هذه العادة القبيحة وتكون لكل رجل زوجة واحدة، لكن كل ذلك يذهب سدى، ويحول دون ذلك أمران:

الأمر الأول هو أنه لابد لتحمل أعباء الزوجة ومسئوليتها أن يكون للرجل دخل مناسب، والأمر الثاني هو أن يتوفر للزوجة مكان من قبل الزوج تسكن فيه منعزلة عن الغير.

والسبب في استمرار هذه العادة الخبيثة عند أولئك الكفار أن رجال

هـــذه الأســـر والبيوتات إما أنهم يقومون بالفلاحة والزراعة، أو يتولون وظيفة في الجند أو الشرطة.

وفـــي هاتين الحالتين لا يكون دخلهم كما يزعمون بمقدار ما يستطيعون القـــيام بالإنفـــاق مـــنه على الأهل والعيال، ولا يتوفر لهم بيت ولا مكان يليق بأســـرة كبـــيرة، مع أن رجال الدين من الهنادكة الذين يتبعون ديانتهم ورجال إدارة الوقايـــة الصـــحية والعاملين في المجتمع لا يزالون يحاولون إنهاء هذه العادة والقضاء عليها ولكنهم لم ينجحوا في ذلك نجاحاً ملموساً.

وبهـــذا الطريق يتم تزويج بنت من بنات أمثال تلك البيوتات، ولكن لا تتحسن حالة أخواتها الباقيات، ولا تكون لهن أسرة وعشيرة لحرمانهن مـــن الأزواج، فبعض منهن يذهبن إلى مراكز البغي والفحشاء وبعضهن يقتلن أنفسهن.

فهل يمكن وضع القانون المدني الموحد اليوم أو في المستقبل القريب؟

إن مدنية الهند التي وجدت منذ عدة آلاف من السنين قد مرّت بكثير من الرفع والخفض والتطورات التاريخية، ومثل هذه الأوضاع والظروف قد أحدثت عشرات من التقاليد والعادات التي هي معقدة جلها متعب مثلما عرضت آنفاً، وهذه هي الحقائق التي لا تزول بوضع قانون أو ارشادات وتوجيهات، وإنما لابد لها من تحولات ثورية أساسية، وما لم تتغير أمثال تلك العادات والتقاليد لا يمكن وضع القانون المدني الموحد وتطبيقه على جمـــيع الهنادك وعلى الذين يقومون بإثارة هذه القضية والذين يخالفونهم أن يفكروا جميعاً في أمثال هذه التقاليد والعادات وإيجاد العلاج لها.

معارضة القانون المدني الموحد من المسلمين ومن غير المسلمين:

إن المطالبة بتنفيذ القانون المدني الموحد ومعارضته لا تزال مستمرة، من مدة، وقد تحقق خلال ذلك أن القانون الموحد لا يلحق الضرر بالحضارة والثقافة الهندية فحسب، بل هو قانون غير صالح للتطبيق في مثل بلاد الهند العلمانية، ولذلك يتساءل البعض عن الهدف من وراء الإلحاح على المطالبة به كما صرّح بذلك وزير القانون والعدل الأسبق السيد أيج. أر. بهاردواج بأن الحديث بشأن القانون المدني الموحد إنما يدار لإثارة الشكوك والشبهات والحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين، أعرب وزير القانون والعدل عن هذه الآراء في لقاء له غير رسمي مع المحامين في دلهي الجديدة تحت رعاية جمعية المحامين أيه. أيم. يو.

إن هذه الإنطباعات والآراء التي أعرب عنها بهاردواج عن القانون المدني الموحد تحمل أهمية كبيرة لأنه قد شغل منصب الوزارة التي تقوم بإعداد المسودات من كل نوع من أنواع القانون إنطلاقاً من متطلبات الأوضاع والظروف، وله خبرة تامة بأوضاع البلاد وطبائع الناس والتقاليد الاجتماعية الهندية، وهو يعرف بمدى خطورة ودقة القوانين التي يقبلها الناس ويرفضونها، فيقول إن الذين يتكلمون في شأن القانون المدني الموحد هم يعرفون هذه الحقيقة معرفة جيدة وهي أن البلاد سوف تضعف بالسعي لتطبيقه، وليس من الممكن تنفيذ قانون عائلي موحد على الطبقات المختلفة من البلاد وعلى مختلف الجنسيات التي تعمل وتتمسك بالتقاليد، والعادات لها أهمية كبرى في الديانة حتى إن المحاكم تقر هذه الأهمية وتعترف بها، وإن سنّ القانون المدني الموحد سهل ميسور، ولكن تطبيقه عملياً وعن طواعية النفس وجعله صالحاً للعمل والاعتراف به عسير، بل مستحيل.

وقال وزير القانون وهو يشير إلى هذه الدقة: إن هذا القانون الهندوكي كان قد تمّ وضعه في عهد رئيس الوزراء الأول للبلاد جواهر لال نهرو، لكن لم تقبله كثير من القبائل حتى اليوم، وهم لا يزالون يعملون بتقاليدهم وطقوسهم.

إن الذين يطالبون بتطبيق القانون المدني الموحد يذكرون من فوائده أنه ينتشر ويعم لأجله التضامن والوئام في الناس، لكن هذا الدليل لا نصيب له من الصحة عند وزير القانون والعدل، إذ يقول: إن بلاد الهند توجد فيها أديان وحضارات كثيرة، فليست قوتها في تضامنها ووحدتها، بل في الحفاظ على تنوعها واختلافها، وإن صياغة حضارة البلاد ووحدتها في تقوية المثل العلمانية ودعمها.

قال: ولا شك أن الوحدة والمودة لا تتحقق بالقوانين بل باحترام المواطنين لها، ويستطيع الناس أن يمثلوا الوحدة بجانب العمل بدينهم وثقافتهم، بشرط أن يضربوا بالحقد والكراهية عرض الحائط، ويقوموا بترويج مشاعر الأخوة والمودة فيما بينهم، ويشاركوا الآخرين في همومهم وأحزانهم، لكن مع الأسف الشديد إن بعض الأحزاب السياسية قامت بتأييد وتغذية النظريات البالية المذكورة لمجرد تلميع مكانتها السياسية وترويج سياستها الماكرة.

إن هذه الأحزاب لا تنظر ولا تفكر في مصلحة البلاد ووحدتها، وإنما هدفها إثارة الحقد والكراهية والتعصب، لأنهم يرون مستقبلهم مصوناً في أجواء الكراهية والتعصب، وإن كانت البلاد مهددة معرضة للأخطار والدمار.

فهذا القانون الهندوكي لا تقبله جميع الطبقات والفرق الهندوسية فكيف يمكن قبول القانون المدني الموحد في البلاد كلها، وإذا فكر المؤيدون للقانون المدني الموحد من هذه الناحية اتضح أمامهم ضعف مطالبتهم وخلوها من الروح والقوة، ويثبت عدم تأثيرها، ولكنهم يهدفون إلى غير ذلك، فإنهم يريدون أن يبقى المسلمون يتعرضون للأزمات والمشاكل والمصائب، وأن ينصرف اهتمامهم عن المسائل الرئيسية.

أضف إلى ذلك أن يكون لهم في البلاد صورة تجعل الناس يرون رأياً غير صحيح في المسلمين، وهو أن المسلمين يعارضون الوحدة والمودة، ولذلك لم ينجح هؤلاء في هدفهم هذا ولم يتحقق، ولم تقم أية طبقة بحماية مطالبتهم وتأييدهم، مما يدل على أن المسلمين لا يعارضون وحدهم القانون المدني الموحد فحسب، بل تعارضه البلاد كلها، وإن أكره الناس على قبوله وفرض عليهم بدون رضاهم فسوف يأتي ذلك بالنتائج الوخيمة، وتلحق الأضرار البالغة بالوحدة والتضامن في البلاد.

جهود رابطة العالم الإسلامي:

عندما طرح قانون الأحوال الشخصية الموحد في الهند ثار زعماء المسلمين وعلماؤهم ووحدوا جهودهم، رغم اختلاف مذاهبهم واتجاههم لاسقاطه وقام الزعماء الدينيون السياسيون مثل الشيخ أبي الحسن الندوي بجهود عظيمة لدى الوزراء وكبار الموظفين موضحين أن ذلك يسوء المسلمين، ويتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية وقد عينوا كبار المحامين من المسلمين والهندوك للدفاع عن وجهة نظرهم وطلبوا من الهيئات والمنظمات الإسلامية في الخارج مثل رابطة العالم الإسلامي أن

تسهم في دفع نفقات المحامين والإجراءات اللازمة لمعارضة هذا القانون وقد اعتمدنا في رابطة العالم الإسلامي مبلغاً من المال مساعدة للجنة ألفها المســلمون لهذا الغرض على نفقات المحامين وغيرها حتى سقط القانون الموحد هذا.

ولاشك أن المسلم لا يمكنه أن يقبل قانوناً وضعياً يستمد أحكامه من عادات وتقاليد لقوم من الكفار ليحكمه في مسائل الزواج والطلاق المهمة لأن أحكــام الشــريعة الإســلامية قــد ســار عليها المسلمون في هذه الموضوعات ووجدوا فيها العدل والطمأنينة والسلام.

الاضطرابات والمذابح

نشــرت جــريدة الــرائد التي تصدر باللغة العربية في الهند مقالاً بتاريخ ١٤٢٧/١١/٤ جاء فيه:

تحــترق الهــند حالــياً في الفتنة الطائفية لأن المنظمات الهندوكية المــتطرفة قامــت بتنظيم المسيرات الهندوسية في سائر أنحاء الهند منذ الســنتين الماضــيتين وتلــك المسيرات رفعت النعرات والشعارات ضد المســلمين وحرضت الهندوس قائلة بأن المسلمين وحدهم مسؤولون عن جمــيع الفوضـــى والفساد في الهند، وهم عقبة كبيرة في تحقيق الوحدة الهــندية لأنهم يصرون على الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وأن سلفهم هدمــوا المعــابد الهندوكية في الماضي وأقاموا المساجد على أنقاضها، وبالتالــي يجــب على الهندوس أن يستعيدوا جميع هذه الأماكن ويقوموا بتحويلها إلى المعابد الهندوكية مرة أخرى.

نتــيجة لهــذه التحريضات انفجرت الاشتباكات الدموية الحادة في مخــتلف الأماكــن الهــندية ومــنها مديــنة مــيرت التي شهدت أسوأ الاضطرابات الطائفية التي انفجرت صباح يوم الثلاثاء في ١٩٨٧/٥/١٩ م واســتمرت أكــثر من أسبوع كامل، ومدينة دلهي التي شهدت حوادث العــنف والاســتبداد، وهــناك بعض التقارير في ٨٧/٥/٢٥م التي تثبت همجية البوليس، وجاء في التقارير بأن شاباً يبلغ ١٨ سنة من العمر ألقي القــبض عليه وأطلق البَوليس النار عليه من الخلف ومزق بطنه وفخذه، والملفــت للنظر أن هذه الاضطرابات امتدت إلى القرى المجاورة لمدينة مــيرت، وأذاع راديــو لندن صباح يوم الأحد في ٨٧/٥/٢٤م بأن قوات P.A.C. أطلقــت الرصـــاص علـــى المسلمين الأبرياء في قرية مليانة المجــاورة لمدينة ميرت، وأحرقت بيوتهم، وأذاع راديو لندن مرة أخرى

لـيلة يوم الاثنين في ١٩٨٧/٥/٢٥م بأن الذين قتلتهم قوات .P.A.C في قـرية مليانة عددهم ١٨ شخصاً وذلك بعد العثور على ٨ جثث في نفس القـرية، ونظـراً إلى اعتداءات البوليس هرب ٢٠٠٠ مسلم من بيوتهم ومساكنهم من نفس القرية.

وبلغـت المأساة ذروتها بالعثور على ٣٦ جثة في مراد نجر قريباً من مدينة ميرت وهم من سكان قرية مليانة الذين اعتقلهم رجال .P.A.C وقـتلوهم في الطريق رمياً" أضافت الصحيفة قائلة "الطائفة الهندوسية قد نشـطت بعـد اغتـيال إنديرا غاندي وتعرض السيخ للإبادة والمجازر وبالتالي فقد ألوف منهم حياتهم".

وأعربت صحيفة "تأئمس آف إنديا" في ٨٧/٥/٢٧م عن رأيها قائلة "العلاقـات بيـن الهندوس والمسلمين متوترة للغاية لا في مدينة ميرت وحدها بل في جميع أنحاء ولاية اترابراديش حتى إنها اجتازت في شدتها وحدتها جميع الأحداث التي وقعت في سنة ١٩٤٧م".

وقالـت صـحيفة "بانـير" في ٨٧/٥/٢١م الدين والسياسة قوتان متصـارعتان فـي الهـند والفتنة الطائفية سوف تستمر لأن الأصوليين والرجعيين لهم حرية كاملة بأن يمارسوا السياسة والدين معاً منذ ٣٠ سنة ماضـية ولـم تتمكـن الحكومة من إيقاف الفتنة الطائفية والاضطرابات الدامـية ومـن واجـبات الحكومـة بأن تتخذ الإجراءات الحاسمة ضد الأصوليين والرجعيين وأن لا يتدخلوا في السياسة وإدارة الحكومة".

وكتبـت صحيفة "تائمس آف إنديا" في ٨٧/٥/٢١م، فقدت الحكومة المحلـية لولايـة إترابـرديش شرعيتها نظراً إلى الاضطرابات الدامية الرهيبة التي تستمر في مدينة "ميرت".

وأفـــادت صحيفة "بانير" في ٨٧/٥/٢٨م بأن وزير الداخلية لولاية اترابــراديش زار قــرية مليانة التي يقطنها ٦٠٠٠ مسلم وأخبره سكان القرية بأن ٦٨ من إخوانهم وأبنائهم مازال مصيرهم مجهولاً.

ونشرت صحيفة "راتم" اليومية في ٨٧/٥/٣١م قصة همجية لقوات P.A.C. بكاملها قائلة بأنها أصبحت متعطشة لدماء المسلمين وإنها قتلت ١٠٠ مســلم رمــياً بالرصـــاص في قرية مليانة وحدها وأحرقت بيوتهم وقتلت النساء والأطفال وأنها قامت بإبادة بعض العائلات المسلمة بكاملها وأخيراً أقفلت الأبواب وأحرقت البيوت لكي يموت حرقاً من بقي فيها.

تقــول صــحيفة استيو ميمن في ٨٧/٥/٢٤م بأن فتاة مسلمة كانت تتبادل الحديث مع زوج أختها في بيتها إذ أطلقت عليها النار فماتت هي وبعد دقائق تعرض السيد اشتياق زوج الأخت للرصاص أمامها واعتدى رجــال البوليس عليها وأخيراً أحرق بيتها وألقي ثلاثة أطفال صغار في شــعلة النار في نفس البيت، وحكت امرأة أخرى قصتها قائلة بأن بعض الـــناس اقــتحموا البيت وقتلوا زوجها مع الطفلين الصغيرين وطفل آخر أصيب برصاص على محله.

والقلــب يعتصر ألماً وحزناً وآسى والعين تدمع على ما جرى في مديــنة ميرت وقرية مليانة وعلى ما تنشر الصحف والمجلات يومياً من الأحداث والقصص التي وقعت في تلك الأيام الرهيبة المظلمة.

وهكــذا انقضى رمضان واستعد المسلمون ليستقبلوا العيد المتلطخ بالدمـــاء والدمار فقد وقعت حوادث مماثلة في مراد آباد يوم العيد، وذلك جزاء انتماءهم إلى الإسلام ورفضهم لما يسمى بالتيار القومي.

مذبحة المسلمين بمدينة مراد آباد بالهند ماذا حدث؟

عقب شهر الصيام (سنة ١٤٠٠هـ) توجه خمسون ألفاً من مسلمي مراد آباد (وهي مدينة معروفة تقع في شمال الهند)، يرافقهم الأطفال المبتهجون، في ملابسهم الزاهية، احتفالاً بذلك اليوم.. ولكن ذلك اليوم تحول إلى يوم روع وحزن وعنف وقتل ويأس لمئات الألوف من المسلمين القاطنين بتلك المدينة وللمائة مليون مسلم آخرين يسكنون الهند التي تدعي العلمانية وتعلن أنها أكبر بلد ديمقراطي في العالم.

وكان هذا اليوم تكراراً لعشرات الألوف من الحوادث والمذابح التي تعرض لها مسلمو الهند منذ عشرينات هذا القرن وخصوصاً ابتداء من الأربعينات.

وكما يحدث في مثل هذه المناسبات، التي يتجمع خلالها أناس كثيرون، فإن الإدارة المحلية وضعت عند مدخل ساحة الصلاة عدداً من رجال الشرطة للحيلولة دون أي شغب محتمل، والذي حدث قبيل أداء الصلاة مباشرة أن دفعت عدة خنازير- وهي نجسة بطبيعة الحال- إلى داخل ساحة الصلاة.. فتقدم بعض المسلمين يسألون الشرطة عن السبب في دخول الخنازير من مدخل الساحة- وهو المدخل الوحيد إلى مكان الصلاة- فأجابتهم الشرطة بتهكم مثير: إن عمل الشرطة ليس هو أن تحول دون وصول الخنازير إلى مساجد المسلمين، ثم بدأت الصلاة التي لم تستغرق أكثر من خمس دقائق، وخلال هذه الدقائق الخمس أطلقت الشرطة نيران رشاشاتها التي اخترقت صفوف المصلين فأردت مئات من الرجال والأطفال قتلى وجرحى.

وقالت إحدى الفرق الطبية التي توجهت إلى مكان الحادث إنها

وحدهـــا التقطت جثث ٣٠ قتيلاً من الرجال و٢٠ قتيلاً من الأطفال، وذلك من فـــوق ســـجاجيد الصـــلاة التي تشربت دماء الشهداء. ويقول شهود العيان: إن الشرطة نقلت كثيراً من الجثث ودفنتها في مكان مجهول لاخفاء جريمتها.

وقد بذلت الشرطة بالفعل جهداً كبيراً لتغطية جريمتها، فحاولت في بدايـــة الأمـــر تدعي أن المسلمين هم الذين اعتدوا بفتح النيران على الشرطة وأن مســـلمين مســـلحين كانوا يجلسون في ساحة الصلاة لأحداث الشغب، إن الشـــرطة قد أردت المئات قتلى برشاشاتها ولكنها عجزت حتى الآن عن إبراز أي ســـلاح نـــاري تكـــون قـــد عثرت عليه مع القتلى أو المسلمين الآخرين. وادعـــت الشـــرطة عقـــب فضوح دعواها الأولي، أن المسلمين بدءوا برشق الشرطة بالطوب، ورداً على ذلك أطلقت الشرطة النيران على المسلمين.

تعليقات الصحافة العالمية حول المذابح:

من تقرير مراسل صحيفة (انترناشيونال هيرالد تريبيون) المنشور بعددها الصادر في ٢٦ أغسطس ١٩٨٠م:

"إن عـــدد القتلى بلغ المائة والخمسين قتيلاً، وجرح الآلاف وألقى بالقبض على الآلاف، ومئات من المتاجر قد نهبت وحرقت، و أوضحت هذه الحوادث أن مسلمي الهند لا يزالون معرّضين للأخطار ولا يزالون غـــير آمنين بالرغم من مرور ٣٣ سنة على تعهد قادة الهند بإنشاء نظام علمانـــي، والـــذي يحـــدث في معظم حوادث الشغب والقتال الطائنية أن المسلمين هم الذين يتعرضون لأكبر معاناة، ومثل الأفارقة السود بسويتو بجـــنوب إفريقيا والمجموعات الضعيفة في كل مكان، فإن مسلمي الهند ناقمون، وهم كغيرهم من الذين يتعرضون للتمييز العنصري، يتعرضون للاضطهاد، في فترات الأمن النسبية أيضاً.

ومسلمو الهند فقراء وحظهم أقل في التعليم والصحة من المواطن الهندي العادي، وهم يعانون من البطالة أكثر من الهندوس ونسبتهم في الشرطة والقوات المسلحة أقل بكثير من تعدادهم العام".

وتعليق صحيفة "الغارديان اللندنية" (عدد ٢٠ أغسطس ١٩٨٠م):

"إن تقسيم البريطانيين للهند إلى بلدين، فجّر أكبر موجة للهجرة في التاريخ، فقد هاجر ملايين من المسلمين من الهند إلى باكستان، والموتى الذين سقطوا في المصادمات الطائفية خلال هذه الأحداث يقدرون بربع مليون نسمة، وقد يكونون أكثر من ذلك بكثير، ومنذ ذلك الوقت يتعرض المسلمون للاضطهاد، فأنت تشاهد في منطقة سكنية أنشئت حديثاً أن العادة هي أن الجزء الذي يسكنه الهندوس يحصل على المياه الجارية، والكهرباء ومجاري الصرف، أما الجزء الملاصق والخاص بالمسلمين فيكون عموماً محروماً من هذه الحاجات الأساسية، إن كثيرين من كبار المسئولين والهندوس النافذين يعترفون بهذه الحقائق ويبدون عن أسفهم لها.

وهناك عدد ضئيل من المسلمين في مناصب رفيعة ولكن وجودهم في تلك المناصب يعتبر رمزياً لا غير".

مجلة "صنداي" الهندية الأسبوعية (عدد ٢٤ أغسطس ١٩٨٠م):

"مرة أخرى كانت هذه قضية بحتة وبسيطة لمظالم الشرطة، إن القوات "المحافظة على القانون والنظام" قد صبت جام غضبها على آلاف من المسلمين الذين حضروا لأداء صلاة العيد: يوم البهجة والاحتفال، إن مئات منهم قد سقطوا صرعى، وكثيرون منهم أطفال، في هذه المذبحة وخلال الفرار الجماعي عقبها.

"إن الكل من مسلمي مراد آباد وهندوسها يقولون لمن يريد أن يسمع: إن ما حدث يوم ١٣ أغسطس في مدينتهم لم يكن فتنة طائفية، بل كان مجابهة مباشرة من الشرطة ضد المسلمين، ولكن الشرطة تنشر الأكاذيب الآن حول ما حدث بالفعل، وذلك لتغطية أفعالهم الشنيعة، ومن شأن هذه الأساطير الكاذبة أن تصرف الأنظار عما وقع بالفعل في ساحة صلاة العيد".

قال البروفيسور. أ. سكرمير هورن بجامعة كيس وسترن رزرو بالولايات المتحدة: "إن الاضطرابات المعادية للمسلمين في الهند هي مذابح حقيقية تقترفها الأغلبية ضد الأقلية".

وقال ريتشارد لامبرت، عالم الاجتماع الأمريكي:

"إن الأرقام الحقيقية لقتلى المسلمين في هذه الاضطرابات هي أعلى من ضعفين ونصف إلى عشرة أضعاف عما يعترف بها رسمياً" عن مجلة "أمباكت" اللندنية، ١٢-٢٥ سبتمبر ١٩٨٠م.

جذور المشكلة:

إن مذابح المسلمين قد أصبحت أمراً اعتيادياً في الهند "العلمانية" التي يقطنها أكبر تجمع سكاني إسلامي (١٠٠ مليون مسلم) بعد إندونيسيا.

وقد وقعت في الهند فيما بين ١٩٤٦ و١٩٧٩م: تسعة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون (٩,٥٤٢) من هذه الحوادث المعادية للمسلمين (احصائية مجلة "سوريا انديا" الهندية الشهرية عدد يونيو ١٩٧٩م). وتصف الصحافة الهندية الرسمية والصحافة الغربية هذه الأحداث بأنها "اضطرابات هندوسية مسلمة" أو أنها "اضطرابات طائفية"، لكي تعطي انطباعاً بأنها أحداث تقع بين طرفين، بينما الحقيقة هي أن طرفاً واحداً

فقط يخطط هذه الأحداث ويبادر بها وينفذها- بالدم البارد وهذا الطرف هو الهندوس المتعصبون- في السلطة الحكومية وخارجها- المنتمون عموماً إلى حزب راشتريا سيوك سانغ وجناحه السياسي الجان سانغ، وكذلك إلى أحزاب إقليمية متطرفة مثل (شيف سينا) بإقليم مهاراسترا، وتستخدم الأحزاب الأخرى هذه الحوادث لفوائد سياسية.

"وقد بدأت هذه الاضطرابات المعادية للمسلمين أول الأمر خلال العشرينات من هذا القرن حين ظهرت حركات متطرفة مثل (هندومهاسها) منادية "تطهير" المسلمين من رجس الإسلام!!! وعقب الاستقلال تحولت هذه النعرة إلى "تهنيد" المسلمين وكأنهم أجانب في بلدهم نفسه.

"إن أفظع جانب لهذه المؤلمة من تاريخ البشرية هو أن هذه الحوادث تتجاهلها الصحافة المحلية والخارجية أو تحرفها، كما أن الشرطة دائماً تتغاضى عن المجرمين، وكذلك المسئولون المحليون والسياسيون، ومما يسبب الإهانة إلى جانب الجرح، أن المسلمين هم الذين توجه إليهم تهمة هذه الحوادث!

"والتطور الجديد والمخيف هو أن قوات الشرطة هي التي بدأت ترتكب هذه الجرائم، وفي أحدث هذه المذابح سقط ١٥٠ مسلماً- في لحظة واحدة- صرعى رشاشات الشرطة بمدينة مراد آباد في أغسطس ١٩٨٠م، وكان ذلك في نفس يوم العيد، وكان المتعصبون الهندوس قد ساقوا الخنازير النجسة إلى داخل ساحة الصلاة، وحين احتج المسلمون على هذا، ويقال إنهم رشقوا الشرطة بالحجارة، بدأت الشرطة تطلق عليهم النيران، عن كثب، من المدخل والمخرج الوحيد لساحة الصلاة، وسقط كثيرون من المسلمين الآخرين صرعى الرصاص حين استمرت الشرطة في التدريب على قنص البشر

العـزل في مدينة مرادآباد وغيرها من مدن شمال الهند حيث تظاهر المسلمون ضد وحشية السلطة المناط بها حفظ الأمن والقانون.

"إن أرواح المسلمين ليست هي الضحية الوحيدة لهذه المذابح، لقد لوحظ (منذ عشرين سنة الآن) أن الدافع الحقيقي هو حرق بيوت المسلمين ودكاكينهم ومصانعهم،مدن جبل نور، جمشيد بور، بيوندي، بنارس،أحمد آباد، مرادآباد.

إن الاستراتيجية هي شل المسلمين اقتصادياً، والآن بعد النجاح في القضاء على ثقافة المسلمين ولغتهم (الأردية) الغنية، أصبحت أهداف القضاء هي أرواح المسلمين وممتلكاتهم نفسها.

"وليست هناك إشارة جادة تدل على أن حكام الهند يتفهمون هذه القضية ولديهم الشجاعة في معالجة جذورها وتقديم مجرمي هذه المذابح إلى المحاكم، إنها ليست قضية سياسية، بل هي قضية تخص القضاء والنظام والأمن، وقد أخفقت الحكومة الهندية في معالجة هذه المشكلة، وقد أعلنت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي، بكل قسوة فؤادها، وهي تتحدث أمام مجلس النواب الهندي عقب مذبحة مرادآباد:

"إن الاضطرابات تقع في كل مكان من العالم، ولذلك ليس هناك من جديد في الاضطرابات المعادية للمسلمين في الهند".

"وإن لم تتفهم سلطات الهند واجباتها، وإن لم يتحد المسلمون ويجمعوا صفوفهم لمحاربة المجرمين، دفاعاً عن أرواحهم وحقوقهم المهضومة، فليس هناك من أمل في بقاء مسلمي الهند على قيد الوجود".

(من تحقيق لمجلة "كريسنت انترناشيونال"، تورانتو، كندا، عدد ١ نوفمبر ١٩٨٠م.

شرح الاضطرابات الطائفية وتحليلها:

علق مستشار رابطة العالم الإسلامي للشئون الهندية الدكتور محمد يونس النجرامي بمقال على الموضوع، فقال:

إن التصـــريح الـــذي نشرته الصحيفة اليومية المرهتية "سامنا" قد اعتبره مجلس الصحافة الهندي مدانا يستحق الذم والاستنكار، والذي قيل فـــيه "إن وقع الضرب والمسيس على آلهة الهندوس بالآلات الدالة على المعـــادن، فلـــن يسمح بالاحتفال بالعيد في البلاد"، هذه الصحيفة لمنظمة شيو سينا، وهذا التصريح أدلى به رئيس شيو سينا بال تهاكري، وإنه هو مديـــر هـــذه الجريدة، ويحكم حزبه الآن في مهاراسترا بالاشتراك مع بي جي بـــي، وبهـــذا الحـــزب يتصـــل كبير وزراء مهاراسترا مرلي منوهر جوشي، ويحظـــى بال تهاركري في مهاراسترا بالمنزلة التي يحظى بمثلها رئيس حزب بهوجـــن سماج كانشي رام في أترابراديش، وكلاهما موجهان للحكومة الجارية المشـــتركة بيـــن هذيـــن الحزبين، كماأن كل واحد منهما رئيس لحزبه، فإنهما يشـــرفان علـــى هاتيـــن الحكوميتين الموجودتين في مهاراسترا وأترابراديش، ويضـــعان خططهمـــا، ويقومـــان بإعطاء التوجيهات والإرشادات لتطبيق هذه الخطط والمواقف، ويعتبران هذا التحكم من بعد حقاً وجائزاً.

رواج شيوســـينا: وبيان بال تهاكري هذا الذي اعترض عليه وأدانه مجلس الصحافة كان أدلى به هو أثناء الاضطرابات الطائفية الواقعة في يونـــيو ١٩٩٣م، وكـــان هـــذا التصريح محلاً للاعتراض لدى الحكومة الموجـــودة فـــي مهاراســـترا آنذاك أيضاً، ولأجل ذلك كان حاكم مديرية بومبائـــي راجـــع إلى مجلس الصحافة ضده، وتوجد القوانين في قانون الجـــزاء الهـــندي للحـــد من الأقوال والخطب والكتابات المثيرة للتنافر

الطائفي والمؤاخذة بها، فلا تزال تعلن وكالات الأنباء ومجلس الصحافة ومنظمات الجرائد والصحف والمجلات عن أنه لا حاجة لفرض القيود على الجرائد إلى وضع قانون جديد أو منح مجلس الصحافة السلطات الجزائية، وقد اعترفت بذلك الحكومة المركزية والحكومة الإقليمية كذلك، ولكنهما لم تتخذا أي إجراء تحت القانون المتداول ضد بال تهاكري على خطبه وكتاباته التي تثير التنافر الطائفي، وأما الآن فلا يمكن اتخاذ أي إجراء على أساس تقارير مجلس الصحافة، لأن بال تهاكري يحظى في الحكومة الإقليمية بمنزلة هي أعلى من منزلة كبير وزرائها.

وكان شيوسينا وحزب بي.جي. بي. قد نجحا في الانتخابات الإقليمية الماضية لأجل انقسام الأصوات العلمانية إلى حزب وآخر وعدة أحزاب، فاعتماداً على ذلك واستكباراً به لا يزال رئيس شيوسينا يهذي بعد تولي حزبه الحكم كما كان يهذي قبل ذلك أيضاً، ولا تزال الحكومة الإقليمية رهن إشارته، فيقام بتخويف المسلمين المحليين حيناً على أساس أن عدداً كبيراً من البنجلاديشيين والباكستانيين اقتحموا مهاراسترا ودخلوها ثم سكنوها بصورة غير مشروعة، ويعين "شيوسينك" أيضاً على مهمة البحث عن "الأجانب" مع الشرطة، وتحلل لجنة شؤون الأقليات ذلك باسم المساواة حيناً آخر.

وكانت هذه المنظمة جاءت إلى حيز الوجود أولاً في ١٩٦٦م على أساس تحديد المناطق وحبها، وكان شعارها الأول "مهاراسترا للمرهتة"، وبدأت عملها إنطلاقاً من العمال وكان هذا الميدان قبل ذلك تحت سيطرة الشيوعيين، وقامت الأحزاب الأخرى أيضاً بتعزيز منظمة شيوسينا لإبعاد الشيوعيين عن مجالس العمال، وكان غرضة "شيوسينا" في ذلك الوقت

هــم الغجراتيون والتامليون ثم بدأت هذه المنظمة تثير الطائفية مع إثارة عواطــف تحديــد المناطق وحبها، وصارت الطائفية أمراً مشتركاً بينها وبيــن حــزب بــي. جي. بي. وكان الحزبان يقفان موقفاً واحداً من قضية المســجد والمعــبد فــي أيودهيا بالإضافة إلى الانتخابات، ويؤيد كل واحد مــنهما الآخر، فزعماء شيوسينا حاولوا رد الفضل في هدم المسجد البابري إلــى حزبهم، وإن كانت هذه الحركة بدأها حزب بي. جي. بي. والجماعات الفرعية له كالمنظمة الهندوسية العالمية وبجرنك دل العسكرية.

اســتراتيجية التحفظ، وكان الاضطراب الطائفي الذي كان مجلس الصــحافة أدان بخصوص ذلك في الأيام الماضية تصريح بال تهاكري المذكور ونشره في الصحف والجرائد إنما كان ذلك صدى لمأساة أيدوهيا الواقعــة في ٦ ديسمبر ١٩٩٢م، وكانت حكومة مهاراسترا عينت لبحث هــذا الاضطراب والكشف عنه في ٢٥ من يناير ١٩٩٣م لجنة التحقيق لعضو واحد وهو قاضي محكمة الاستيناف والشغب وافتخر به، وما كان عــرض أمــام لجنة التحقيق من شهادات وبيانات، أدى كل ذلك إلى هذا الاحــتمال المحكــم القــوي أن تقرير اللجنة سوف يكون ضد شيوسينا وحليفها بي. جي. بي. وإنطلاقاً من مبدأ التحفظ والتدبير قد قامت حكومة شيوســينا وبهاجــبا بتغيــير منهاج عمل لجنة التحقيق، فإنهما الآن في الحكومة، وربطت حكومتها الاضطرابات التي كانت تبحث عن ذلك لجنة التحقــيق لسرى كرشنا بانفجار القنابل الواقع في بومباي في ١٢ مارس ١٩٩٣م، وكانــت وجهــة نظــر شيوسينا وموقفها قبل تولي الحكم أن المســلمين هم الذين بدعوا في المرحلة الأولى للاضطرابات التي وقعت فــي ٦ ديسمبر ١٩٩٢م، ثم قام الهندوس بكيل صاع بصاع في المرحلة

الثانية، وأكدت على أن مساهمتها في الاضطرابات والفتن كانت لغرض صيانة الهندوس، وأما تعيين لجنة التحقيق لسرى كرشنا فكان غرضه في رأيهـــا هو الظلم على الهندوس وازعاجهم، واعتبرت شيوسينا انفجارات يونيو ١٩٩٣م رداً على رد من قبل المسلمين المحليين، وكان ذلك بتأييد وحمايـــة عملاء باكستان وبعض المهربين كما تزعم هي، وعلى أساس موقفها ووجهة نظرها هذه قد أضافت حكومة شيوسينا وبهاجبا إلى منهاج عمـــل لجـــنة التحقـــيق لســـرى كرشنا البحث عما كانت الاضطرابات والانفجارات جزأين لخطة واحدة؟

وكـــان غـــرض الحكومة الجديدة من ذلك فيما يبدو أنه إذا كانت الطائفـــية الهندوســـية تتهم بإثارة الاضطرابات الطائفية في جانب، ففي جانـــب آخر يتهم المسلمون أيضاً بهذه الجريمة ويتجه إليهم الاتهام بذلك، وقد اعتبر القاضي سرى كرشنا عملية الحكومة هذه عرقلة وتدخلاً غير مشـــروع فـــي أعمـــال اللجنة، وكانت الحكومة أعلنت عن هذه العملية والإجراء في ٢٤ مايو ١٩٩٥م حينما كان عمل اللجنة على وشك الاتمام والانـــتهاء، وكان هناك حدث جو من الجمود والتعطل بإعلان الحكومة هـــذا فـــي عملـــية البحـــث والتحقيق واستمر الوضع كذلك إلى أن وعد المحامي العام اللجنة بالتعاون معها.

وقـــد بدأت اللجنة عملية تسجيل الشهادات وكتابتها من جديد، ولكن العقـــدة لم تنحلّ إلى الآن تماماً، وذلك لأن اللجنة لم توافق الحكومة على وجهة نظرها موافقة كاملة، وبالإضافة إلى تأجيل جلسات المحاكمة مرة بعـــد أخـــرى نشأت هناك نقاط قانونية بسبب عملية الحكومة، فمثلاً إن اللجنة التي كانت قد تم تعيينها في ٢٥ يناير ١٩٩٣م، كيف يمكن إضافة

الأحـــداث التـــي حدثـــت بعد هذا التاريخ يعني في مارس ١٩٩٣م، إلى مـــنهاج عملهـــا، فيحـــتمل أن تنشأ المحاكمات الجديدة على هذه النقاط، ونتـــيجة لذلك يمكن المزيد من التأخهير في تقديم اللجنة تقريرها، واتخاذ الإجراءات من الحكومة نحوه وإصدارها الأمر والحكم عليه.

تقريران مضادان عن اضطرابات بهاغلفور:

وهـــذا هـــو الأمر بخصوص الاضطرابات التي كانت وقعت في بهـــاغلفور (بيهار) في أكتوبر ١٩٨٩م، وإجراء البحث عنها، وكان على لجـــنة التحقيق المكونة من ثلاثة قضاة متعاقدين أن تنهي عملها في مدة ستة شهور، ولكنها استغرقت ستة أعوام في إعداد التقرير المشتمل على ٣٢٥ صـــفحة، وعلـــى كـــل، فقد قدم تقريران إلى الحكومة في مارس الماضـــي مكان تقرير واحد، كان واحد منهما قدمه رئيس لجنة التحقيق القاضـــي رام ننذن برشاد، والثاني قدمه القاضي رام جندرا برشاد سنها والقاضـــي الســـيد شـــمس الحسين، وما زالت اللجنة عرضة للخلافات والـــنزاعات مـــنذ بدايـــة أمرها، وأصبحت شخصية رئيس اللجنة نفسه متـــنازعاً فـــيها، لأن بنته انتخبت لعضوية المجلس الشعبي على تذكرة بهاجبا، وقـــد قـــام الرئيس بتبرئة بهاجبا وأر. ايس. أيس. الهندوسية من الاتهام بإثارة الشـــغب والفتـــنة، وقـــال في حق ضباط الشرطة والسلطات الحكومية، إنه لا توجـــد ضـــدهم شهادة وبينة يمكن اتخاذ الإجراءات ضدهم على أساسها، وأما العضـــوان الآخران في اللجنة فإنهما وجها الاتهامات إلى الشرطة والسلطات العلـــيا وأجهـــزة القمـــة من الإدارة بالإشارة إلى أسمائهم وتعيينها، كاتهامات الانحـــياز الغير المشروع إلى فرقة، واتخاذ موقف الإهمال والتغافل، ومساهمة رجال الشرطة في القتل والنهب، والتغافل عن الجرائم وغض الطرف عنها.

وقد وجه رئيس اللجنة إلى كبير وزراء المؤتمر الوطني الأسبق بهكوت جها آزاد هذا الاتهام بأنه كان رسم خطة إثارة الشغب لكسب أصوات المسلمين، ولكن الخسارة وقعت وصبت على المسلمين أكثر من غيرهم، وأما في تقرير الأغلبية من لجنة التحقيق فإن تفاصيل هذه الخسارة مندرجة فيه مع ذكر أسماء المجرمين والمضطهدين وذكر عناوينهم.

التشبيه بحرب كلنكا: وقيل في بعض التصريحات أن نار الاضطرابات الطائفية اندلعت في ٢٤ أكتوبر ١٩٨٩م، حينما امطرت مسيرة "رام شيلا بوجن" بالأحجار من مدرسة من المدارس، ولكن لا يقال هذا الأمر بالقطع والجزم- كما تزعم اللجنة- إن القنابل كانت رميت من المدرسة أو كان قذف المسلمون القنابل، لأن الإدارة المحلية من الشرطة لم تقم بإعداد فهرس للجرحى بالقنابل، وجاء في ذلك التقرير أيضاً ذكر إلقاء الجثث في الآبار ودفنها في المزارع والحقول، وزرع القنبيط عليها، وشبهت مجزرة بهاغلفور بحرب كلنكا التي كانت جعلت الملك أشوك يستكره الحرب ويقلد بوذا، كما شبهت بعض إجراءات الشرطة بحملة النازيين من ألمانيا.

وقد ذكر التقرير بالإشارة إلى الشهود الهندوس أن رجال منظمة آر. أيس. الهندوسية والمنظمة الهندوسية العالمية وبجرنك دل العسكرية كانوا يسيرون في الركب ومعهم السيوف والعصي والرماح والمعاول، وهم يرددون شعارات مهيجة ومثيرة وعدوانية، كما ألقى تقرير لجنة التحقيق الضوء على ترويج الشائعات والإشاعات بدون أساس، والتغافل عن منعها بدون تأخير، واشتداد الفتنة نتيجة لذلك، واعتبار المضطهدين ظلمة.

وقد اعترفت حكومة بيهار بتقرير الأغلبية ووافقت عليه، وقالت إنها سوف تقدم التقارير المتعلقة بالاضطرابات الطائفية الواقعة في جمشيد فور وبيهار شريف وسيتا مرهي أيضاً في اجتماع المجلس التشريعي القادم للولاية، وجاءت الإشارة إلى المجرمين- مثل تقرير اضطرابات بهاغلفور- في التقرير الذي أعدته لجنة التحقيق عن عمليات الشرطة في هاشم فوره ومليانه من أعمال ميرت من ولاية أترابراديش، ولكن بعد تغيير الحكومة الإقليمية للولاية الشمالية توقف الحكم على هذا التقرير وأجّل، وقبل ذلك أيضاً قد قامت لجنة التحقيق الرسمية والإدارات غير الرسمية بتقديم تقاريرها عن الاضطرابات الطائفية الواقعة في بهيوندي وأحمد آباد، يمكن عد البعض منها في "الأدب الكلاسيكي الرائع" بشأن الطائفية والاضطرابات الطبقية، ولكنه من سوء الحظ قد أودع هذا الأدب الكلاسيكي أيضاً في الخزانات مثل بعض اللغات الكلاسيكية، ولأجل ذلك لا تزال الطائفية تتوسع وتنتشر في ميدان السياسة، وتزدهر الطوائف المشاغبة، ويمكن العثور على مؤامرات المشاغبين وتدابير منعها والحد منها عن طريق دراسة تقارير شرح الاضطرابات الطائفية وتحليلها.

البروفيسور محمد يونس النجرامي

رئيس جمعية المثقفين المسلمين بالهند

منظمات هندوكية متعصبة:

في هذا الزمن الذي اتسعت فيه الثقافة وتقوت أواصرها بين الشعوب، وبخاصة الشعوب الراقية إدارياً مثل أوروبا وأمريكا وهي الشعوب التي نمت فيها المحافظة على حقوق الإنسان وحريات الأديان وفي أنحاء كثيرة من العالم، وأخذ المثقفون يبحثون في الحضارة الإنسانية، وعلاقات الأقليات بالأكثريات نجد الهند بخلاف ذلك إذ نمت فيها في العصور الحديثة سياسة التعصب وظلم الأقليات، بل والاعتداء على مقدساتها كما حدث للمسجد البابري في أدوهيا الذي هدمه الهنادكة من أجل أن يقيموا بدلاً منه معبداً لكبير آلهتهم (رام) الذي ذكروا أنه ولد فيه.

ومع العجب كل العجب من إله يولد وعلى ذلك يوجد من يعبده ويقدسه، بل ويواظب على ذكر إلوهيته فإن الأمر إذا تعدى إلى حقوق الآخرين من الأقليات المسلمة يصبح أكثر شناعة وأشد ظلماً.

وهذا حديث عن بعض المنظمات الهندوكية المتعصبة.

وشوهند وبريشد وأهدافها:

قبل أن نلقي أضواء كاشفة على أهداف منظمة "وشوهند وبريشد" وغاياتها وأساليبها المخربة، علينا التعرف على خلفيات هذه المنظمة الهندوسية المتطرفة.

كل من له إلمام بتاريخ المنظمات الهندوسية المتطرفة بعد د خول الاستعمار الإنجليزي في الهند، يعرف جيداً أن زعماء الهندوس المتطرفين قاموا بتأسيس منظمة هندوسية متطرفة بإيعاز الإنجليز لإثارة الفتنة الطائفية في المجتمع الهندي، تسمى هذه المنظمة بـ"شدهي

سنكهتن" التي أثارت اضطرابات على نطاق واسع، مستغلة تمزق المسلمين الهنود سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً، فوقعت بعض حالات الارتداد في هذه البلاد تحت ظروف اقتصادية وبسبب جهل المسلمين بالصحيح، وخوضهم في البدع والخرافات، فثارت حمية المسلمين الدينية التي تمخضت عن تأسيس المدارس الدينية والحركات الإصلاحية والجمعيات الدعوية لتبليغ الدين ونشر الإسلام الصحيح بين المسلمين، ولم تمض مدة طويلة حتى نجح المسلمون في إبطال جهود الهندوس التضليلية وادعاءاتهم الكاذبة، ولكن قامت بعد ذلك منظمات هندوكية متطرفة أمثال منظمة "مهاسبها" و C.S.S لإثارة القلاقل السياسية والدينية، وهذه المنظمات هي التي قامت فعلاً بالضغط على زعماء الهنود السياسيين لتقسيم الهند، فقضى أحدهم على حياة الزعيم الهندي غاندي، وبعد ذلك حظرت الحكومة الهندية نشاطات هذه المنظمات، إلا أن محاولات الزعماء الهندوس بدأت تأخذ أساليب أخرى للضغط على المسلمين، حتى غيرت الحكومة الهندية موقفها العلماني نحو المسلمين في مناهج التعليم والتربية وفي تنظيم شئون البلاد تدبير نظمها، وأخذت تجبر المسلمين للاشتراك والتعاون معها في اتخاذ الحضارة الهندوسية، ومعتقداتها الوثنية منهجاً للحياة والسلوك، إلا أن هذه المحاولات فشلت إلى حد ما بفضل تيقظ العلماء المسلمين وبذل جهودهم لإقامة المدارس الإسلامية الخاصة على مستوى المدارس الرسمية حتى لا يبقى جيل المسلم الجديد جاهلاً في مقتضيات العصر الحاضر.

ومن هنا نجد محاولات الهندوس المدمرة تبذل في الناحية الاقتصادية، حيث قامت منظمة .R.S.S المتطرفة تحت سمع الحكومة

وبصـــرها بتجمـــيع الشـــباب الهـــندوس على تدمير المسلمين اقتصادياً وتذويـــبهم حضارياً، كما قامت الصحف الهندية الصادرة عن المنظمات الهندوسية بتغذية الشباب بل بتسميم عواطفهم ومشاعرهم نحو المسلمين، فـــلا تـــزال الاضطرابات تقع حينا بعد حين وتشترك الحكومة بشرطتها العســـكرية لقمع المسلمين، إلا أن الله عز وجل عزز وجود المسلمين في هذه البقعة بإسلام المنبوذين في منطقة جنوب الهند، فقامت الدنيا وقعدت فـــي أوســـاط الهندوس حكومة وشعباً، فتحركت الحكومة على مستوى الولاية والمركز وأجرت تحقيقات واسعة النطاق ولكنها فشلت في إيجاد أي رابطة أو خيط ضعيف بين إسلام المنبوذين وتمويل العرب المسلمين، فلم تلم إلا نفسها ومعتقدات الهندوس غير الإنسانية.

فلما أحست الحكومة والمنظمات المتطرفة أن الأرض انسحبت من تحتها اتفقت كلتاهما على تأسيس منظمة "وشوهندوبريشد" وقد أعلن عن تأسيس هذه المنظمة على أثر اللقاء الطويل الذي تم بين رئيسة الوزراء المســـز انديـــرا غـــاندي وبعض الزعماء الهندوس الذين كان يتزعمهم مهاراجا بهرت سنغ من راجستان وسهاراه كرن سنغ من كشمير.

يـــرأس هذه المنظمة مها راجه بهرت سنغ، ونائبه سهاراجه كرن ســـنغ، فلما أعلنت عن تأسيس منظمة " وشوهند وبريشد"، أعلن رئيسها عن سبب تأسيس هذه المنظمة وألقى بعض الضوء حولها، فقال:

- إن المـــنظمة تخشـــى على الحضارة الهندوسية العريقة ومعتقداتها القديمـــة، وهذا الخطر يأتي من قبل المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد ولم يتخذوا المعتقدات الهندوسية كمنهج للحياة.

- تخاف المنظمة أن الهندوس يقل عددهم بسبب اختيارهم وسائل تحديد النسـل، ويزداد عدد المسلمين بسبب تعدد زوجاتهم وإنجابهم بكثرة فتتحول الهند مرة أخرى إلى بلد إسلامي.
- الحكومـة الهندية تبذل جهودها لاسترضاء المسلمين للحصول على الأصـوات، وتمـنح لهـم تسـهيلات لإقامة المدارس والجامعات الإسلامية وبناء المساجد، وهذه أيضاً خطر على الهند.
- الحكومـة والمسـلمون كلاهمـا ينتهكان حرمات الهندوس في ذبح البقرات، فماذا يجب على المنظمة أن تعمل؟
- علـيها أن تغـير الدستور الهندي من العلمانية إلى الدولة الهندوسية وبناءها حسب المعتقدات الهندوسية.
- أن تحـاول تذويـب الفـوارق بيـن الهندوس والمسلمين تماماً ديناً وحضارة وفكراً وسلوكاً.
- أن تستعيد الأماكن المقدسة التي حولها المسلمون في عهد حكوماتهم بـالقوة إلـى المساجد (وذلك كذب تاريخي من الهندوس) ومن هذه المسـاجد "مسجد بابري" في مدينة أجودهيا، ومسجد "يان بافي" في بنارس (الولاية الشمالية).
- أن تعـيد المسـلمين الهنود إلى صفوفها، لأنهم كانوا أصلاً هندوساً فـتحولوا تحـت ضغط الحكومة الإسلامية إلى المسلمين (هذا أيضاً كذب تاريخي).
- المسـلمون يعيشون في الهند يتمتعون بتسهيلاتها في مجالات الحياة

المختلفة ولكن مشاعرهم وعواطفهم تتجه إلى باكستان والعالم العربي الإسلامي، فتحاول المنظمة وتضغط على المسلمين أن ينضموا إلى المجتمع الهندي ديناً وعقيدة وحضارة ويعيشوا هنا تحت رحمة الهندوس وإلا عليهم أن يهاجروا إلى باكستان أو إلى بلاد العرب.

- أن تحاول المنظمة الضغط على البلاد الإسلامية بمنح تسهيلات للهندوس في إقامة المعابد الخاصة لهم ولا تمنعهم من دخول الحرمين الشريفين، لأن الحكومة الهندية تعطي تسهيلات للمسلمين بلا حدود.

وعلى المنظمة لتحقيق هذه الأهداف أن تتخذ أساليب ووسائل مؤثرة، منها:

- أن تجمع التبرعات على نطاق واسع.
- عقد الندوات والحفلات في أوساط الجماهير والمثقفين لبث الوعي الديني فيهم.
- تنظيم مظاهرات شعبية وتسييرها على الشوارع، للضغط على الحكومة وبث الرعب في المسلمين حتى ينضموا إلى صفوف الأغلبية.
- تنظيم رحلات جماهيرية إلى زيارة الأماكن المقدسة في أنحاء الهند.
- الضغط على الحكومة (عن طريق الأصوات) لتسليم مساجد المسلمين إلى الهندوس، وإذا لم تستجب الحكومة إلى تلك المطالب فإن المنظمة تختار أساليب غير سلمية، وتحرر أماكنها المقدسة بالقوة.

هل حققت المنظمة "وشوهند وبريشد" أهدافها؟

نعم، أنشئت فروع المنظمة لا في أنحاء الهند فحسب، بل في الولايات المتحدة وأوروبا أيضاً.

- جمعت التبرعات على نطاق واسع (تقريباً مائتين وخمسين مليون روبية هندية في الهند ومائة مليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية) كما يقول التقرير الذي قدم إلى المؤتمر الذي عقد في شهر أكتوبر الماضي في ولاية فلوريدا.
- مالت الأحزاب السياسية المختلفة إلى هذه المنظمة كما يشترك في مؤتمراتها وحفلاتها الجماهيرية المسئولون الحكوميون.
- نظمت مظاهرات شعبية لإظهار عضلاتها في سائر أنحاء البلاد وسارت المسيرات من أماكن مختلفة ومرت بالقرى والمدن حيث أقيمت لها أقواس النصر ومآدب الحفاوة، كما أقيمت المؤتمرات وألقيت الخطب النارية لإشعال الحماس ضد المسلمين، ومرت على المسلمين في خلال هذه المظاهرات والمسيرات موجات من الخوف لان هذه المظاهرات كان يمكن أن تتحول إلى مذابح لأتفه سبب، ولكن الله سلم.

وقد وقعت حوادث محلية في مدن مختلفة وتقع هزات مختلفة تذهب فيها ضحايا من المسلمين في أرواحهم وممتلكاتهم ولكن العزم في المسلمين قوي على مواجهة هذه الظروف ببسالة وحكمة وصبر، ولا مناص من الحكمة والتدبير والعمل، فإن في ذلك مفتاح الفرج.

أما المسلمون في مختلف ديار الإسلام فعليهم أن يعاونوا بالدعاء وبالطرق الأدبية وبوسائل أخرى يسعهم أن يعرفوها حسب الظروف والأحوال، ومنها إقامة المدارس والكتاتيب الإسلامية في القرى والأرياف ومد يد العون إلى المعاهد والمدارس الدينية التي تهتم بشئون تعليم المسلمين وتربيتهم وتحاول إبقاء كيان المسلمين كأمة إسلامية واعية ذات هدف نبيل.

منظمة بجرنك دل الهندوسية العسكرية تاريخها مبادئها وأهدافها:

تاريخها:

جميع المنظمات والجمعيات في العالم سواء كانت سياسية أو ثقافية تقوم بإنشاء فرعها الخاص بالشباب فيشكل الشباب في الحقيقة القوة الحقيقية لجميع المنظمات والجمعيات فبناءاً على هذا المنطق قامت المنظمة الهندوكية العالمية (V.H.P.) بإنشاء منظمة بجرنك دل للشباب من الهندوس.

يقع مركز هذه المنظمة في مدينة دلهي قريباً من المعبد الهندوكي المعروف بديوي مندر، والمستر بيكنته لال شرما والمستر برديب كمار من المسئولين البارزين للمنظمة، وبيكنته لال شرما كان يشتغل في وظيفة حكومية منذ ٣٧ عاماً ولكنه استقال من وظيفته وكرس حياته لإقامة دولة هندوسية في الهند.

ويقول شرما بأننا قمنا بإنشاء منظمة بجرنك دل لكي نعيد في أذهان وقلوب الشباب من الهندوس صلاحية وأهمية الديانة الهندوسية ويستعجب هو قائلاً إذا كان شبابنا يتلقون التدريبات العسكرية الصباحية فلماذا هذا الاستياء من الجهات المعنية أي المسلمين ويعتقد المستر شرما بأن الدولة الهندوسية هي في الحقيقة دولة علمانية، ويبدو جلياً وواضحاً من نشاطات هذه المنطقة بأنها تستهدف الإسلام والمسلمين، وتحاول إنشاء الكراهية في قلوب الهندوس ضد المسلمين وإنشاء الجنون الديني في الهندوس.

قامت المنظمة الهندوكية العالية (V.H.P.) بإنشاء منظمة بجرنك دل نظراً إلى قضية رام جنم بهومي/ المسجد البابري، والاضطرابات الطائفية التي وقعت بين الهندوس والمسلمين في مختلف ولايات الهند

كانــت نتيجة لنشاطات بعض المنظمات المتطرفة والإرهابية والمعادية للمسلمين التي استغلت هذه الأوضاع المعقدة لصالحها السياسي، وفي هذا المضــمار السياســي والديني قامت منظمة بجرنك دل بتنظيم المسيرات الهندوكــية والاجتماعات الدينية الهندوسية لتوعية الهندوس نحو أهدافها، وكذلك تقوم المنظمة بعرض التاريخ الهندي المزور أمام الهندوس لإنشاء الكراهية ضد المسلمين وحكمهم الإسلامي.

معتقداتها ومبادئها:

قــد أصــدرت المنظمة كتاباً بعنوان "الحاجة إلى الدولة الهندوسية لمــاذا؟" وفــيه ذكر وتوضيح لأهداف المنظمة، ونوشد فيه بأن معتنقي الديانــات الأخــرى قد استولوا على مولد رام، فيجب على الهندوس أن يقومــوا بتوحــيد صفوفهم للحفاظ على دينهم الهندوسي، فبناءاً على هذه المناشدة اجتمع حولها الشبان الهندوس.

وقــد جــاء فــي كتاب لماذا الدولة الهندوسية؟ بعض الآراء التي تحمل المنظمة والتي تلقى الأضواء على فلسفتها ومعتقداتها، والآراء هي كالآتي:

١- إن انقســام الهند في سنة ١٩٤٧م لم يكن تقسيم شبه القارة الهندية بين الهند وباكستان فقط بل كان تقسيماً بين الهندوس والمسلمين.

٢- باكســتان أعلنــت دولــة إسلامية ولكن الهند وزعمائها من أمثال غــاندي ونهرو اتخذوا العلمانية طريقاً للهند، ومما لا شك فيه أن هذا القرار هو الذي بذر بذور الفساد والشر في الهند.

٣- بعــد إنشاء دولة باكستان المسلمة كان من اللازم بأن تكون الهند دولة هندوسية.

٤- المسلمون في الهند دائماً ينظرون إلى الدول الإسلامية والعربية وإلى باكستان.

٥- ولو كانت الهند أعلنت في سنة ١٩٤٧م أنها دولة هندوسية لما كان من الممكن للمسلمين أن يرفعوا رؤوسهم ولأدركوا تماماً بأن الهند بلد هندوس فقط، فإذا قاموا بإثارة الفوضى واجهوا التصدي من الهندوس ومن الدولة الهندوسية فكان مفروضاً عليهم أن يعيشوا في هدوء أو يهاجروا إلى باكستان.

٦- ولو كانت الهند دولة هندوسية كان من المتوقع أن لا يقع الاضطرابات الطائفية لأن المسلمين عادة يحاولون الهجوم على المعابد الهندوكية والمراكز الثقافية والحضارية للديانة الهندوسية، وهم بدورهم يعتقدون بأنهم عن طريق ذلك سوف يقومون بمحو الدين الهندوكي والمجتمع الهندوسي، والمسجد البابري على مولد رام، والمسجد في مدينة مترها على مولد كرشن خير شاهد على ذلك، ولصالح البلد يجب فرض الضغوط على نفسية المسلمين والضغط على الاتجاه الهجومي للإسلام ولا يمكن ذلك إلا بأن تكون الهند بلداً هندوسياً.

منجزاتها:

وفي السنوات الماضية امتد أثر المنظمة إلى سائر أنحاء الهند وخاصة في المناطق القروية النائية ولعبت هي دوراً رئيسياً في الاضطرابات الطائفية ضد المسلمين.

وللمنظمة نشاطات مكثفة في ولاية اترابراديش حيث يقع المسجد

البابري أكبر من أية ولايات هندية أخرى، والمستر وني كيسار يرأس المنظمة في اترابراديش، وهو رجل معروف في عدائه وكراهيته إزاء المسلمين، ومستمر في محاولاته بأن يتم تسليم المسجد البابري إلى الهندوس، وله دور بارز في الاشتباكات الدموية التي وقعت سنة ١٩٦٠م، والتي راحت ضحيتها ألوف من المسلمين ودائماً يقوم بإصدار البيانات الصحفية شديدة اللهجة ضد المسلمين والدين الإسلامي وفي تأييد إقامة دولة هندوسية، وبالتالي برز كرجل سياسي قوي في المجتمع الهندوسي المتطرف.

الوضع السياسي للمسلمين

مأساة السياسة المسلمة في الهند:

كتب البروفيسور الدكتور محمد يونس النجرامي فيما أسماه "مأساة السياسة المسلمة في الهند" فقال:

لقد ندر ما يسمى بـ"السياسة المسلمة" في بلاد الهند، وتتطلب قضية ندرة "السياسة المسلمة" البحث والنقاش سواء أكانت هذه الندرة حسنة أم سيئة، ولكن الواقع هو أنه لم تبق هناك أية منظمة إسلامية لعموم الهند للمسلمين الهنود، بيد أن "الرابطة الإسلامية" و"الرابطة الوطنية" مازالتا موجودتين، ولكن ينحصر أثرهما ونفوذهما في المناطق المحلية، وكذلك شأن "مجلس المحامين" وحال "جمعية اتحاد المسلمين" ومما يثير العجب والاستغراب أن حال "مجلس المشاورة" المجلس الاستشاري لا يختلف عن ذلك بتاتاً.

لا يزال المسلمون يقومون بالتصويت وإدلاء الأصوات، وهم ليسوا قانطين من مستقبلهم بصورة كاملة ولا مهمومين بصورة غير عادية، ويفكرون في مسائلهم ومشاكلهم.

ولكن انتهى تقليد اتباع حزب سياسي واحد، وتدخل في ذلك تلك الاحزاب التي ظل المسلمون يقلدونها تقليداً أعمى إلى يومنا هذا.

إذا تأملنا هذا الأمر وجدناه حسناً وقبيحاً في وقت واحد، أما حسنه فباعتبار أنه قد انحسر ظل الطائفية عن سياسة المسلمين إلى حد، بيد أن المنظمات الطائفية الأخرى تسعى جاهدة أن تعود بهم إلى ما كانوا عليه من قبل، وأما قبحه فاعتبار أنه لم تعد لها وجهة نظر خاصة رئيسية.

والحق أن قضايا المسلمين في الهند صريحة وواضحة، وهي المحافظة على النفوس والأرواح والأموال، والحفاظ على اللغة والمدنية

والاحتفاظ بالحقوق القانونية الشرعية، وتلحق زيادات إلى هذه القائمة في اللغـــات المخـــتلفة بالأساليب المتنوعة، أحياناً تتضمن هذه القائمة قضية الاحـــتفاظ بقانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وأحياناً أخرى تدخل فيها المطالبة بتخصيص حصص المسلمين في الوظائف والخدمات، لكن كلمة كافـــة المسلمين في الهند ليست مجتمعة، ولا أراءهم متحدة حول جميع هذه القضايا، وهناك مجال واسع للاختلاف المتبادل على كل حال.

غـــير أن المطالـــبة بالمحافظـــة على الأرواح والأموال والحقوق الشـــرعية من المطالب التي تتمتع بحماية مواطني هذه البلاد العلمانيين بصورة كاملة إلى جانب اتفاق آراء عامة المسلمين عليها.

ولقـــد تظاهـــر المسلمون في الهند بصبر غير عادي بصدد قضية المســـجد البابري ومولد رام، وفوضوا أمرهم إلى النظام القضائي للبلاد والأغلبية المحبة للعدل والقسط، ولكن لم يتمكن النظام القضائي ولا حكومة البلاد من صيانة المسجد البابري من الانهدام.

ومـــن العجـــب العجـــاب أن المسلمين لم يستشيطوا غضباً غير أنه انكشـــف اللـــثام والقناع عن مختلف الأفراد والأحزاب ممن كانوا يتلاعبون بالسياســـة المسلمة ويعبثون بها، وكسدت تجارة سياستهم وقيادتهم حتى متى يظل هذا الوضع سائداً؟ فمن الصعب العسير الحديث عن ذلك.

ولكـــن السؤال المهم هو ما هي المواقف السياسة للمسلمين الهنود بعد حادث اجودهيا؟ فيمكن الإشارة إلى أمور عديدة بصورة مجملة.

ومن الظاهر الباهر أن زوال نزعة الانفصالية في السياسة المسلمة أمر يبلغ الغاية في الأهمية، ولم تبق من المنظمات الإسلامية أو الأحزاب السياســـية المســـلمة ما تدعى تمثيل المسلمين، زد إلى ذلك حقيقة أخرى

وهـــي أن المسلمين الهنود لم يتسلموا للغزو السياسي، بل رسموا خطة- بصورة مجملة- لحماية القوى العلمانية حماية فعالة صامتة وسرية- فيما يغلب الظن- حتى لا تبقى مخذولة في تيار الطائفية الجارف، وليس من الضروري قطعاً أن يقوم الحزب المساند لهم بتنصيب المرشح المسلم، بل روعي إلى حد غير ضروري أن يكون الحزب علمانياً بقطع النظر عن المرشح أيّاً كانت ديانته.

وقد وقع فعلاً أن الأحزاب الطائفية انهزمت بفضل المقاطعة الكاملة من قبل الناخبين المسلمين، وإن لم يكن هنا أحد من المسلمين من بين من تـــمّ انتخابهم من المرشحين (كما حدث في ولاية مدهيا براديش) وكانت جـــلّ عـــناية المســـلمين مركزة على هزم الأحزاب الطائفية آنذاك، وقد نجحوا في ذلك إلى حدّ أن حزب الشعب الهندوسي (B.J.P.) لم يتمكن من تشكيل حكومته إلا في ولايتي راجستان ودلهي.

ولكن السؤال أكثر تعقيداً من هذا، ففي جانب انهزم حزب "جانتادل" انهـــزاماً غـــير مرتقـــب وغير مظنون فيه، وقد جاء بالفعل والانكسار بصورة مستمرة في ولاية اترابراديش ووردت الأنباء من ولاية بيهار أن حزب "جانتادل" قد خسر مقعداً من أهم المقاعد، وفي جانب آخر نرى أنه لم تنصب الأحزاب السياسية المختلفة المرشحين المسلمين أو المرشحين المدعيـــن لمعاملة المسلمين معاملة العدل والقسط أو أنه لم يتم انتخابهم، وذلـــك ما أدى إلى أن نتائج الانتخابات التي برزت وظهرت هي مثيرة لليأس والقنوط وباعثة على الأمل والرجاء في وقت واحد.

يـــبدو هذا الأمر غير معقول وبعيداً عن المنطق السليم ولكنه واقع وحـــق أن العواقب المتضادة تبرز في ضوء هذه النتائج، ويلزم الإطلاع

على هذه النتائج والحذر منها، وأما كون النتائج مؤلمة فنظراً إلى ضآلة تمثيل المسلمين الهنود فيها وذلك ما يدل دلالة قاطعة على أن أذهان المسلمين لم تُلبّ بعد دعوة العلمانية التي تواجهها البلاد ولا تلزمنا الإجابة عن هذا السؤال كمسلمين مثلما يلزمنا الجواب عنه بصفة كوننا مواطنين مسئولين للبلاد، وإن كان انتصار المنتصرين في أغلب الأحوال مدين لأصوات المسلمين المتحدة أو المتفقة إلى حدّ، ولكن عدد المسلمين يساوي العدم بين المرشحين المنتصرين الفائزين.

على أن هذه النتائج باعثة على الأمل والرجاء باعتبار أن الأحزاب الطائفية باءت بالفشل والإخفاق وتكونت جبهة موحدّة إلى حد قليل لمعارضة الأحزاب الطائفية، وإن لم يكن أساسها على الخطة السياسية، ولكن كان على معارضة الطائفية على الأقل.

وكان- لا يزال- في هذه الجبهة الموحّدة نصيب ملحوظ وإسهام ملموس للمسلمين الهنود، ورغم هذه الإشادة والتنويه بالمسلمين هناك سؤال مهم يسترعى انتباهنا وهو "إلى أي مدى مساهمة المسلمين في الأحزاب العلمانية؟ وهناك طرق متعددة وأساليب متنوعة للمساهمة والمشاركة، منها الازدحام في مخيم الحزب الذي أحرز قليل الانتصار أو كثيره، كل يريد أن يبايع على يديه، ويصر على اعتبار نفسه زعيماً لهذا الحزب، ومنها الجدارة والأهلية لبرامج ومناهج عملية لذلك الحزب، ومنها إدخال أسماء المسلمين ممن لا يجاوز عددهم واحداً أو اثنين في قائمة الزعماء المرموقين لذلك الحزب، وينبغي أن يكون المسلمون ممن يعتمد على فطانتهم وفراستهم.

إن الاعتقاد في أن صفوف المسلمين قد خلت من الرجال الأكفاء خلوّاً بحيث أنهم يغلبون على أمرهم أينما رحلوا وحيثما ذهبوا، أمر لا

يكاد يصدقه القلب، ولا تقع عليه العين مدى النظر.

إن ما ينقص الأحزاب البعيدة عن الطائفية كل البعد هو فقدان وغياب الزعماء المسلمين، ومن المعلوم أن الزعماء ليسوا بحاجة إلى الشهادات ولا بالبصيرة النافذة غير العادية، إذن فما هو ذلك النقص الذي يحول دون تزعم المسلمين للأحزاب العلمانية؟

إن مستواهم مستوى المقلدين والأتباع إلى حدّ كبير، والزعماء المسلمون الذين انفصلوا عن المؤسسات المركزية والجهاز الإداري الأعلى، أو التجأوا إلى ملجأ فإن كلمتهم غير مسموعة وصوتهم ضعيف خال من الروح رغم أنهم يمثلون دور الطليعة في حرب الحفاظ على الهند العلمانية.

ولكن بقي الشيء الكثير من "الدجل والمكر" ومن اللازم التذكر والتذكير أن المحكمة لم تقض بعد في قضية أيودهيا كما لم يحكم بذلك المعنيون بالسياسة ممن كانوا يقومون بدورهم السياسي على أساس هذه القضية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أعلن المحرّفون بالسياسة عن بناء معبد (رام) بصورة مؤكدة، وأنهم يصرون على قضائهم مهما أصدرت المحكمة من حكم موافق أو معارض.

ولكن يجب على الأحزاب العلمانية جمعاء أن تصرف عنايتها منذ الآن إلى هذه الأخطار، ولا يجب ذلك من أجل ذلك الحادث فحسب بل لأجل سلامة البلاد ولبقاء الكيان الصحيح للهند، وذلك ما يحتم علينا أن نتعظ ونعتبر بأخطاء عام ١٩٩٢م، ونعد إعداداً مناسباً، وأكبر استعداد في هذا الصدد هو مراعاة الوئام الطائفي والألفة والمحبة.

البروفيسور محمد يونس النجرامي

إسلام منبوذين

نشرت صحيفة (تايمز أوف انديا) الهندية مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٢م تحت عنوان (أناس يعتنقون الإسلام جماعياً في تاملـــنادو) جاء فيه: تشهد مديرية (رامانا بابورم) المتخلفة جنوبي ولاية تاملـــنادو موجـــة جديـــدة من دخول المنبوذين في الإسلام أفواجاً حيث اعتنقـــت ١٩ عائلـــة الإســـلام في قرية سيالور على بعد ١١ كيلومتراً من مديـــنة رامانـــا شـــابورم في الشهر الماضي، وتفيد الأنباء أن هذا ليس إلا تمهـــيداً لتحرك يقضي باعتناق ألف عائلة الإسلام في ١٤ يناير القادم ويبلغ عـــدد أفـــراد هـــذه العلائـــلات حوالي ثلاثة آلاف شخص، ويتوخى سكان مجموعـــة من القرى وهي (انشاغودي وروشانغلام وفيراواندال وفيراوانور وتانجور واتيوايال وانيكودي وينيكولام) أن تكون لهم بيئة اجتماعية أفضل يتعايشون فيها مع الآخرين من المواطنين على قدم المساواة.

ويـــنوي معلم من قرية سيالور اعتناق الإسلام إذ يرى أنه لا فائدة مـــن بقائه في حظيرة الهندوس بعد أن اعتنقت كافة العناصر الشابة من طائفـــته الإســـلام، وقد صرح هذا المعلم بأن بقية عائلات المنبوذين من القرية البالغ عددها ٧١ عالة تعتنق الإسلام.

وقبل عامين اعتنق المنبوذون من قرية (ميناكشيبورم) من مديرية تيرونويلي المجاورة لمديرية راماناشابورم الإسلام بصورة جماعية ليس للحصول على المكانة الاجتماعية والكرامة واحترام النفس فحسب ولكن أيضـــاً للفـــرار مـــن اضـــطهاد الهندوس والمنتمين إلى الطبقة الرفيعة المـــزعومة، وكـــان ذلـــك مثار اهتمام الصحف التي أبرزت أنباء ذلك بعناوين كبيرة، وقد لوحظت الموجة الأولى من اعتناق الناس الإسلام في مديـــنة راماناشـــابورم فـــي العام الماضي عندما اعتنق ٩٣ شخصاً من المنبوذيـــن مـــن قرية بيرومشيري الإسلام، وكانت هناك أيضاً أنباء عن

اعتناق بعض الناس الإسلام في قرية كرونغلام، وقد أطلقت اتهامات مفادها أن الأموال العربية والإغراءات بتوفير فرص العمل في دول الخليج كانت وراء اعتناق المنبوذين الإسلام، غير أنها ليست مقنعة وعندما سئل المعلم المذكور أعلاه والمدعو الأغار سامي عن حقيقة هذه الاتهامات تساءل متهكماً: كيف يمكن أن يحصل ٤٠٠٠ نسمة على فرص العمل في دول الخليج بصورة جماعية غير أنه اعترف بأنه يمكن أن يكون ذلك أحد الأسباب التي حملتهم على الانضمام إلى حظيرة الإسلام، وأضاف يقول إن أهم شيء هو الضرب الشديد الذي تعرض له شاب من المنبوذين وكانت جريمته أنه مشى لابساً حذاءه أثناء مهرجان المعبد.

وليس اعتناق الإسلام مقصوراً على المنبوذين من حظيرة الهندوس بل إن المسيحيين منهم يعتنقون الإسلام، وتكشف دراسة أعدها معهد تاملنادو للتعليم الديني في مدينة مدوراي عن أن الذين اعتنقوا الإسلام يوجد من بينهم أيضاً المسيحيون.

ويقول السيد اندريو ونغيت الذي أعد الدراسة: إن هناك شعوراً واسعاً بالضجر بين المسيحيين من النظام الاجتماعي المسيحي الراهن، كان هناك ٥٠ مسيحياً من بين ١٨٠ منبوذاً الذين أسلموا في أعقاب إسلام سكان قرية ميناكشيبورم، كما اعتنق ١٧٠ شخصاً الإسلام في قرية انيكاراباشي وكان من بينهم ٤٠ مسيحياً، وينبغي الإشارة هنا إلى أنه كان هناك نزاع في مدينة تهروجيرابلي قبل بعض الوقت حول مكان الدفن للمسيحيين من الفئة الدنيا في مقبرة المسيحيين.

ومن الغريب أن المنبوذين الهندوس والمسيحيين في ولاية تاملنادو يتعرضون للتعذيب والاضطهاد في كثير من الأحيان على أيدي رجال

من فئة ثيوار التي تعرضت بنفسها لاضطهاد الإنجليز أثناء حكمهم للهند حيث كانوا يعاملون أفراد هذه الطائفة باعتبارهم مجرمين، وينظر الهندوس والمسيحيون من هذه الفئة اليوم إلى من اعتنق المسيحية من فئة (بالار) المستحقرة، نظرة ازدراء واحتقار على الرغم من أن كثيراً منهم مثقفون ويملكون الأراضي ويتمتعون بوضع اقتصادي جيد.

ومما جاء في الدراسة المذكورة أن أي منبوذ سواء كان هندوسياً أو اعتنق ديناً آخر لا يستطيع أن يدخل بين فرد من فئة (كالار) وهي إحدى الفئات الثلاث الفرعية المنبثقة عن فئة ثيوار، التي عاملها الإنجليز باعتبارها مجموعة من قبائل المجرمين وهو لابسا الحذاء ولا يستطيع أن يمشي على شارع خاص برجال فئة (كالار) كما لا يستطيع أن يركب دراجة داخل قريتهم.

ونسب السيد/ ونغيت إلى امرأة مسيحية من فئة (كالار) وهي (مدرسة مدربة تملك قطعة من الأرض) قولها إنها تتوقع حتى الآن من النساء المنبوذات بغض النظر عن دياناتهن أن يخلعن بلوزاتهن أثناء العمل في مزرعتها، وقد قطعت هذه المرأة كافة العلاقات مع بعض أقاربها الذين أقاموا علاقة الزواج مع المنبوذين.

ومن جهة أخرى أعرب بعض المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام عن قناعتهم بهويتهم الجديدة، ومما أثر في نفوسهم تأثيراً طيباً عدم وجود أي نوع من التمييز على أساس الولادة من فئة معينة في مجتمع المسلمين في ولاية تاملنادو، ويقول متخصص في علم الاجتماع، وهو متيسون ماينس: بالرغم من أن هناك خلافات وانشقاقات بين المسلمين التامليين إلا أنه ليس هناك أي تأثير للنظام الطبقي ومن هنا فليس بينهم أي قيد يمنعهم من التزاوج أو تناول الطعام مع بعضهم البعض.

حدثني الشيخ أبو الحسن الندوي قال:

لمـــا بلغنا خبر إسلام أهل قريتين في تامل نادو أرسلنا إليهم بعض المشايخ معهم كتب إسلامية ومن أجل إرشادهم في أمور دينهم الإسلامي، الجديـــد بالنســـبة إليهم، قال: ولما نعرفه من عادات الهند طلبنا من المشايخ أن يطلـــبوا ماء وإن يشربوا من الإناء الذي يشرب منه المنبوذون الذين هم المســـلمون الجـــدد، ونحـــن نعرف أن لذلك أهمية كبيرة لهم، لأن البراهمة وغـــيرهم من الطبقات الهندوكية المتعصبة لا يشربون في إناء يشرب منه المنـــبوذون ولا يأكلون في إناء أكلوا فيه ويزعمون أنه لا يطهره شيء ولا الماء والصابون، ولذلك يكسرون آنيتهم إذا شرب فيها منبوذ.

قـــال: فصـــار المشايخ يتعمدون أن يشربوا حتى بعد فراغ هؤلاء المسلمين الجدد من المنبوذين من الماء الذي شربوا منه.

قـــال: حدثني المشايخ أنهم استعظموا ذلك وزادهم يقيناً بأن الإسلام هو دين الحق والعدل والمساواة فتمسكوا بإسلامهم.

هذا وقد طرح موضوع إسلام أهالي تلك القريتين من المنبوذين في البرلمان الهندي وتركهم للدين الهندوكي الذين كان دين آبائهم منذ قرون مـــتطاولة فـــألف البرلمان لجنة منه لبحث السبب في ذلك لاسيما بعد أن طرح بعض الأعضاء دعوى بأن السبب هو الدولار العربي- يشير إلى المســـاعدات التـــي تأتـــي من أهل الخليج العربي وبخاصة من المملكة العربية السعودية إلى المسلمين في الهند.

وبعـــد بحـــث طويـــل من تلك اللجنة لم تجد أي أثر لما أسموه بالدولار العربـــي فـــي دخول المذكورين إلى الإسلام، فلم يثبت أن أحداً من العرب قدم

إليهم مساعدة من قبل، ولا وعدهم بذلك، وإنما عرفت اللجنة بعد التحقق والمساءلة أن الذي حملهم على ذلك هو شعورهم بعد أن تعلموا وفقهوا الأمور بفظاعة السياسة العنصرية الطبقية في الديانة الهندوكية التي حكمت عليهم بأنهم أردياء أسافل من أصل الخلقة، وأنهم لا يمكن أن يتساووا مع الطوائف النبيلة في الهند أو التي تسمى أنفسها نبيلة راقية بالنسبة إليهم.

وقد بحثت هذا الموضوع أكثر من مرة مع المفكرين الدعاة في الهند قائلاً لهم: إنهم ينبغي أن يوجهوا جهوداً أكبر إلى المنبوذين لإدخالهم في الإسلام، وأن يشعروهم فعلاً بأنهم متساوون معهم في أصل الخلقة، وأنه لا فضل لأحد من بني آدم إلا بالعمل الصالح، فكانوا يقولون: إن ذلك صحيح ولكن الذي يفت في العضد أن المسلمين لا يقبلون أن يتزوجوا من هؤلاء المنبوذين ولا أن يزوجوهم حتى بعد أن أسلموا، لأن من يقبل بذلك يقوم بالإنكار عليه أهله وأقاربه، وربما يؤثر ذلك على زواج قريباته من المسلمين.

وأنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا المسلمين بخلاف ذلك.

ولا أشك في أن هذا صحيح، ولكن ربما كانت هناك أشكال أخرى من التمييز غير ظاهرة ظهور تمييز البراهمة ضدهم تمنع من ذلك.

وعلى أية حال فإنه لوحظ أن دخول أفراد من الهندوكية إلى الإسلام لم يكن مقتصراً على المنبوذين، بل إن الطوائف الراقية وغيرها في الهند وجد فيها أفراد دخلوا في الدين الإسلامي عن طريق الاقتناع بصحته، والاقتناع من فساد الديانة التي كان آباؤهم يعتنقونها قبلهم.

هذا وقد سألت الشيخ كاكا محمد عمر مدير جامعة دار السلام في

عمـــرآباد في الولاية نفسها التي أسلم فيها أولئك المنبوذون بعد إسلامهم بـــنحو سنتين عما إذا كانوا قد ثبتوا على إسلامهم أم رجع منهم أحد إلى ديـــنه الهندوكي السابق فأجابني بكل تأكيد: إنهم جميعاً بقوا على إسلامهم وإنه على صلة بهم من أجل الإرشاد والتوجيه ومساعدة المحتاجين منهم إلى المساعدة بطعام أو نحوه.

وقـــال الشيخ السيد أبو الحسن الندوي الداعية الإسلامي الكبير في معرض الحديث عن علاج حالة المسلمين في الهند:

لقـــد بذلـــتْ خـــلال المنتصف الأخير من القرن المعاصر جهود وطاقـــات لـــرفع مستوى المسلمين، وتلقت المؤسسات العاملة في سبيل إنعاش المسلمين معونات سخية، وكانت رابطة العالم الإسلامي في مقدمة المـــنظمات التـــي قدمت مساعدات مالية ضخمة وأصبحت بذلك مرجعاً لكثـــير مـــن المنظمات العالمية، وكان للهند نصيب وافر منها، وظهرت بفضـــل هـــذه المعونـــات حركات ومراكز ومؤسسات تعمل في مختلف المياديـــن في الهند، كما هو الحال في عدد من البلدان في آسيا وإفريقيا، كمـــا كـــان لمساعدة الرابطة دور في تقريب عدد من البلدان التي كانت تعادي الدعـــوة الإســـلامية فتغير موقفها، أو تخفف حدة عدائها للعمل الإسلامي على الأقـــل، كأندونيســـيا، وتركـــيا، وبلدان أخرى، لأن الاقتصاد عنصر كبير في تكوين موقف الدول إزاء الحركات والنشاطات في هذا العصر.

وقد استغلت الدول الأوروبية التي تدعي بالعلمانية، وفصل الدين عن السياســـة هـــذا العنصر في نشر نفوذها، وبسط شبكة الإرساليات، فتوغلت بذلـــك إلى كثير من الحكومات التي تختلف عنها في الفكر والعقيدة، وظلت تسيطر على سياستها بمعوناتها ومساعداتها المقيدة بالشروط.

لقــد قامت رابطة العالم الإسلامي بمجهود كبير في دعم ما تناوله المؤسسات الإسلامية في العالم، وتوسعت آفاقها بصفة خاصة في عهدكم، ولكــن هــناك أرجحيات لوراعتها الرابطة لآتت جهودها ثماراً أفضل، وحيــث أنــي مواطن لهذا البلد العظيم: الهند الذي يعيش فيه المسلمون كأقلــية كبيرة ويواجهون مسائل معقدة، فقد كانوا في عصر من العصور حكاماً في هذه البلاد وتركوا فيها آثاراً تاريخية، وهذا العهد نفسه في ذهن الأغلبــية شوكة نفسية، فكان موقفهم إزاء هم غير موقف الأغلبيات إزاء الأقليات في البلدان الأخرى، وزاد هذا الموقف اشتباكاً كون المسلمين في عــدد يحسب لهم حساب، وهم حريصون على الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم ونظامهم الشرعي، يضمرون حباً غامراً للوطن الإسلامي وخاصة الدول العربــية، مــا لا يستســيغه ذهــن الأغلبــية لغلــبة العواطف القومية، والحضــارية، وتحدد الدوافع إلى تأصيل ثقافتها ولغتها، ومنهج حياتها، والقضــاء على ما يتنافى مع ذلك من عقيدة وفكر وثقافة وفن، وقد أعد الدســتور بدقــة وحــذر، تظهر يه النزعة العلمانية، ولكن فيه صلاحية التحول إلى أي جهة تريدها الأغلبية.

إن المســلمين يواجهــون في الهند مرحلة مصيرية تتطلب ذكاءهم وحكمــتهم ومعالجــتهم بدقــة وحذر لقضاياهم، ليعيشوا كأمة ذات منهج وشخصــية خاصــة، ولا يخفــى بعض القادة نواياهم للتخلص من هذه الوحدة، وإعادة تجربة الأندلس كما تدل عليه نشرات وخطب لقادة حركة إحــياء الحضــارة الهندوكــية، ولا يستطيع أن يقف في سبيل هذا التيار المعــادي بعض المدارس الإسلامية والمساجد والمراكز والحركات لأنها تستند إلى الدستور وتسامح الحكومة.

إن تعديـــلاً فـــي قانون الحريات الأساسية أو التعليمات السرية في تطبـــيق ضمانات الدستور يستطيع أن يحدد من نشاطات هذه المؤسسات كما حدث في الصين، والاتحاد السوفيتي، وكما يلاحظ بعزم حكومة الهند علـــى تشـــريع قانون الأحوال الشخصية الموحدة، ولو اختيارياً وفرض سياســـة خاصـــة للتعليم والتربية تركز على الجوانب الثقافية والفكرية، المقتبسة من العقائد الوثنية.

إن المصالح الاقتصادية والسياسية بين الدول النامية ومكانة الدول الإسلامية التي تغطي منطقة شاسعة لا تسمح لأي حكومة وخاصة الهند التي تريد صلات قوية مع هذه الدول، بأن تقتحم سياسة العداء السافر للإسلام والمســـلمين، رغـــم عدم اهتمام الدول الإسلامية ووقوفها موقف الحياد التام، ولكـــن نشـــاطات الأحزاب والحركات المتطرفة من الأغلبية، وعداءها السافر ونواياهـــا العدائـــية تجري في الهند علناً وتساندها الصحف اليومية بصراحة، وتقف الحكومة إزاء هذه النشاطات موقف الحياد أو التواطؤ سرّياً.

وقـــد تأثـــر الجهـــاز الإداري والقضائي بهذه العناصر، والدعاية المعادية فلا تجد ضمانات الدستور ومواثيق الانتخابات ووعودها فرصة للتنفيذ وتنشأ مشاكل بعد المشاكل بسبب هذا الموقف.

في وجه هذه الظروف والمشاكل المعقدة يتحمل المسلمون مسئولية الاحـــتفاظ بشخصيتهم ومكانتهم وصيانة أجيالهم القادمة من الذوبان، وقد بـــدأت آثارهـــا فـــي الأطفال الذين يتوجهون إلى المدارس الرسمية في أفكارهم وثقافتهم، ويقتضي الوضع اتخاذ إجراءات مركزة وواسعة النطاق فـــي مجـــالات التعليم والتربية للأطفال والبالغين، وإنشاء نظام قضائي داخلي لتسوية مشاكل المسلمين، ومنعهم من اللجوء إلى المحاكم الرسمية،

ومحاولة جذب المعتدلين والمتسامحين من الأغلبية إلى تأئيد قضايا المسلمين العادلة و الدفاع عن مطالبهم الشرعية حسب ضمانات الدستور، والتسرب إلى الصحافة القومية بالتأثير على أصحاب الأقلام من غير المتطرفين، ودفعهم إلى الكتابة في الصحف في صالح المسلمين، وتنظيم لقاءات وحوارات مع المثقفين والعقلاء، وأصحاب الفكر لمناقشة المشاكل بحرية لجعلهم محايدين بالنسبة للحركات المتطرفة، وقد شوهد بأن بعض النفوس المعتدلة المحبة للسلام منعت في بعض المناسبات النزاع من التحول إلى صراع طائفي دام.

لتحقيق هذه الأهداف تحتاج منظمة "مجلس التعليم الديني" الذي لا يستطيع الآن أن يوسع نطاق عمله، ويتجاوز إلى ولايات أخرى غير ولاية اترابرديش إلى دعم وتأييد، وقد حققت هذه المنظمة التي لا تزال شبه طوعية أهدافها بصورة مشجعة بفتح آلاف من الكتاتيب، وتوعية الآباء لتعليم أطفالهم دينياً، وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية.

والمنظمة الثانية التي تحمل دوراً حاسماً في هذا المجال هي مجالس الأحوال الشخصية الذي خاض معركة الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية وانتصر رغم حملة الصحافة، والزعماء السياسيين المركزة ضدها.

والحركة الثالثة التي تختص بالمسلمين بصورة عامة، هي حركة رسالة الإنسانية التي لم تتقدم لضآلة الوسائل، ولكنها جذبت قلوب عديد من العقلاء في الأغلبية، ويتوقع أنها إذا دعمت فإنها ستؤثر على قضية العلاقات بين المسلمين وغيرهم تأثيراً كبيراً، وهذه الحركة تنظم لقاءات مع الصحفيين والمثقفين لشرح قضايا المسلمين.

ولـــي صلة شخصية بهذه الحركات الثلاث، وإني أعتقد أنها تحتاج إلـــى تنظـــيم وتدعـــيم، ولا أقلل من أهمية الأعمال الإسلامية الأخرى، ورابطـــة العـــالم الإسلامي تساهم فعلاً في كثير منها، فإنها في مجالات وأرصفتها المحدودة تقوم بخدمة عظيمة، منها المدارس ومراكز الدعوة، وإنشـــاء المساجد وتعميرها، لكن هذه الأعمال كلها تبقى وتزدهر إذا بقي الشـــعور والوعـــي في المسلمين، ووفرت لها فرص العمل من الحكومة والأغلبية.

وأكتفـــي بهـــذا العـــرض الموجـــز، وأسأل الله التوفيق والسداد، والإخلاص في العمل وحسن النية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

انتهى كلام السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي

آثار المسلمين في الهند

آثار المسلمين في الهند هي أعظم وأنفس الآثار القديمة فيها، ولذلك صار السياح يقبلون على الهند من أنحاء العالم لرؤيتها ومشاهدة فن البناء الذي بنيت عليه.

وهـي بهذا تقدم مورداً مالياً عظيماً للهند لا يستهان به، فكأن أهل الهند من غير المسلمين استعادوا بالرسوم التي حصلوا ويحصلون عليها مـا سبق أن أخذه ملوك المسلمين من غير المسلمين في الهند على هيئة خراج أو ضريبة، أو حتى جزية مع أن كفار الهند ليسوا من أهل الكتاب الذين يقرون على الجزية.

ومـثل الهـنود في هذا الأمر مثل الإسبان الذين صاروا يكسبون البلاييـن مـن الرسوم المالية التي يأخذونها من السياح الذين يأتون إلى إسبانيا من أجل مشاهدة الآثار العربية في الأندلس مثل قصر الحمراء في غرناطة وجامع قرطبة.

وقـد أجمـل السيد عبدالحي الحسني ذكر الآثار المهمة التي خلفها المسـلمون في الهند، كما ذكرت بالتفصيل ما شاهدته منها في كتبي عن الهند ومنها هذا الكتاب.

قال تحت عنوان:

(ذكر الجوامع والمساجد في الهند):

إعلم أن الملوك الإسلاميين قد أسسوا الجوامع والمساجد بالهند ولا تكاد تضبط كثرة، وكذلك الأمراء قد أسسوا في كل بلدة وعمالة، وقرية، وبذلـوا علـيها أمـوالاً طائلة، لا يقدر أحد أن يضبط كل ذلك، فلنذكر المعروف ههنا، ولنطو ذكر الباقي، فأول جامع أسس بمدينة دهلي- على

مـــا أحفظ- الجامع الذي يسمونه قبة الإسلام أو قوة الإسلام، بناه قطب الديــن أيبك سنة ٥٨٧هــ بعد ما هدم بعض بناء الكنيسة[١] العظيمة التي كانت من أبنية "برتهى راج" عظيم الهند، وأبقى بعضها ثم جعلها مسجداً، ولما رجع من بلدة غزنة سنة ٥٩٢هــ، شرع في بناء الجامع الكبير بأمر السـلطان شـــهاب الدين الغوري من حمر الحجارة المنحوتة أبدع نحت، وجعل البناء الباقي من تلك الكنيسة العظيمة أجزاء من ذلك الجامع.

ثم لما ولي الملك بعده شمس الدين أيلتمش أضاف إلى جانبيه أبنية كثيرة من بيض الحجارة، وفي أحد جانبيه المنارة العظيمة، لا يكاد يوجد مثلها في الدنيا في الحسن والمتانة.

ولمـــا ولي الملك علاءالدين محمد شاه الخلجي أصلح بعض بنائه، وأمـــر ببناء المنارة الثانية سنة ٧١١هــ، فلم يتم له البناء لحلول الأجل قبل بلوغه إلى منتهى الأمل.

ثـــم لمـــا ولـــي الملك محمد شاه تغلق تصدى لتجديد البناء من الحجارة المـــنحوتة أبـــدع نحـــت، وهذا الجامع رآه الشيخ محمد ابن بطوطة المغربي، ووصـــفه فـــي كتابه، قال: "إنه كبير الساحة، حيطانه، وسقفه وفرشه، كل ذلك مـــن الحجـــارة البيض المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصاص اتقن إلصاق، وفيه ١٣ قبة من حجارة، ومنبره أيضاً من الحجر، وله أربعة من الصحون.

ومـــنها "موتـــى مســـجد" بـــبلدة دهلي داخل القلعة المعلاة، بناه عالمكير بن شاهجهان، وكان متعوداً للصلاة بالجماعة في المسجد في كـــل وقـــت مـــن أوقاتها، فبناه بين "دولت خانه" وبين الحديقة "حياة

---

[١] يقصد بالكنسية معبد كفار الهنود وليست معبد النصارى.

بخش"، لئلا تفوته الصلاة بالجماعة في المسجد.

وهذا المسجد كله من بيض الحجارة المنحوتة، تربو على اللآلي في الحسن والصفاء، وبذل عليه مائة ألف وسبعة آلاف رُبية، وتم بناؤه في خمس سنين.

ومنها الجامع الكبير ببلدة لاهور من أبنية عالمكير المذكور، بناه من حمر الحجارة المنحوتة، وبيضها في غاية الحسن والحصانة وأنفق عليه خمسمائة ألف رُبية، وهو المشهور "بشاهي مسجد".

ومنها الجامع الكبير بمدينة "بنارس" بناه عالمكير بعد ما هدم الكنيسة العظيمة للهنادك، ينسبونها إلى "بشيشور"، وكانت عالية البناء يقدسونها غاية التقديس، فهدمها، وبنى مكانها مسجداً رفيعاً من تلك الحجارة، وكسر الأصنام، ووضع بعضها منكوساً في جدران المسجد، وهو من أشهر المساجد في بلاد الهند.

ومنها الجامع الكبير، بناه عالمكير ببلدة بنارس على شاطئ "نهر كنك" من الحجارة المنحوتة، وهدم الكنيسة العظيمة بها للهنادك، ينسبونها إلى "بندوما دهو" أحد عظمائهم، وهذا المسجد أيضاً من أشهر المساجد بأرض الهند، مناراته ٢٨، وارتفاع كل منها ثمان وثلاثون ومائتا قدم، فوق سطح "كنك"، وأساسها يمتد إلى حافة الماء.

ومنها الجامع الكبير الذي أسسه اسكندر شاه الكشميري ببلدة "سرى نكر" سنة ٧٩٥هـ في غاية الحسن والمتانة، أحرقته النار بعد مدة من الزمان، فأمر ببنائه حسن شاه الكشميري على أساس قديم، ولكنه مات قبل أن يتم البناء، فشمر له وزيره إبراهيم الماكري، وأتم بناءه سنة ٩٠٩هـ،

وهو من أبدع الأبنية بأرض كشمير، استحسنه جهانكير، وذكره في كتابه المعروف بتزك جهانكيري.

ومـــنها الجامع الكبير بقلعة "كليركه" من أبنية الملوك البهميين على مثال الجـــامع الكبـــير بقرطبة من بلاد الأندلس، فيه مائة وإحدى عشرة قبة، أكبرها مـــرتفع مـــن الأرض بقدر خمس وسبعين قدماً، أما السقف منها، فطوله شرقاً وغـــرباً (٢٢٥) قدمـــاً، وعرضه شمالاً وجنوباً (١٦٨) قدماً، وله بابان شمالاً وجنوباً، وهذا المسجد يسع ستمائة ألف رجل، كما في تاريخ "بيجابور".

ومنها الجامع الكبير، الذي بني في عهد أحمد شاه الكجراتي بمدينة أحمـــد آبـــاد ســـنة ٨١٧هـــ على ثلاثمائة واثنين وخمسين سارية، غير ســـواري الإيوانـــات الشمالية والجنوبية، وطوله غير طول الصحن مائة ذراع، وعرضه غير عرض الصحن خمسون ذراعاً، وارتفاع المنارتين مائة وست وثمانون ذراعاً، وله منارتان مرتفعتان غاية الارتفاع، وثلاثة أبواب عالية البناء، كما في "مرآة سكندري".

ومنه الجامع الكبير، الذي بناه إبراهيم الشرقي بمدينة "جونيور" من الحجـــارة المنحوتة، وكان كنيسة[1] عظيمة للكفار، ثم بني الجامع الكبير علـــى أنقاضـــها، وهو يشتهر بمسجد "أثاله" بفتح الهمزة، كان يصلي فيه السلطان الجمعة والعيدين، والقاضي شهاب الدين الدولة آبادي يدرس به، وحوله حجرات كثيرة للطلبة.

ومـــنه الجامع الكبير، الذي أسسه إبراهيم الشرقي المذكور ببلدة جونبور سنة ٨٤٢هـــ، ومات قبل أن يتم البناء، فإعتنى به محمود الحسين.

---

(1) كنيسة: أي معبد.

السلطة الإنكليزية على أرض الهند:

قال السيد عبدالحي الحسني:

أعلم أن الهند كانت آمنة من مطامع الفاتحين، لبعدها عن دول التمدن القديمة حول البحر المتوسط، حتى جاءها إسكندر بن فيلقوس المقدوني، في أول القرن الرابع قبل الميلاد، فافتتحها، ولم يطل سيادته عليها، فعادت إلى استقلالها، فلما ظهر الإسلام، كانت في جملة ما افتتحها المسلمون، فانتشر الإسلام بين أبنائها، وتسلطت الدول الإسلامية من الترك، والتتر، والأفغان، وأما الغربيون فإنهم كانوا سادرين في غفلتهم في ظلمات من الجهل، حتى إذا أخذوا بنهضتهم الأخيرة منذ بضعة قرون، وعملوا على التماس أسباب المدنية، كان في جملة مساعيهم في هذا السبيل، الرحلة لاكتشاف طريق التجارة في أنحاء المعمورة، وخصوصاً في الشرق، وكانوا يسمعون بالهند وغناها، ممن يفد عليهم من التجار الذين كانوا يترددون بينهم وبينها، براً وبحراً، فسافر كولمبوس سنة ١٤٩٢م- ٨٩٨هـ، في الأوقيانوس الأتلانتكي، وهو يتوقع الوصول إلى الهند من جهة الغرب، فإذا هو قد عثر بأمريكا، فشغلته عما سواها، وأصبح ارتياد الهند من حظ واسكودي كاما الرحالة، البرتكالي، فدار حول رأس الرجاء الصالح "كيب آف ذاهوب)، وقطع الأوقيانوس الهندي سنة ١٤٩٨م- ٩٠٤هـ، حتى أتى الهند، فرأى فوق ما كان يسمعه من خصبها وثروتها، ونقل ذلك إلى دولته، فبعث ملك برتكال جيشاً لاحتلالها، أو افتتاحها، فدافع أهل الهند عن أوطانهم، فغلبهم البرتكاليون على كثير من السواحل، واستأثروا بتجارة الهند، لا يشاركهم فيها أحد من الدول، فتمتعوا بذلك الاحتكار قرناً كاملاً، من سنة ٥٠٠م- ٩٠٦هـ إلى سنة ١٦٠٠م- ١٠٠٩هـ.

ولمـــا كانـــت طـــباع البرتكاليين لا تساعدهم على الاحتفاظ بتلك الزعامة، لأنهم كانوا أقرب إلى الغزاة منهم إلى التجارة، لما تعودوه من الحـــروب الدينـــية بيـــنهم وبين المسلمين في الأندلس، فما لبثوا أن رأوا الدول الأخرى تسابقهم إلى الاجتزاء من تلك الغنيمة، وأسبقهن إلى خرق ذلـــك الحجـــاب أهل "هولانده"، وما زالوا حتى غلبوا على البرتكاليين، ونحن إنما ننظر في سيطرة الإنكليز على تلك البقاع.

والإنكلـــيز أمـــة تجارية استعمارية، وكانت أكثر الدول طمعاً في الهند، قبل أن يكتشفها "واسكودي كاما" عن طريق رأس الرجاء، وكانوا يلتمســـون الوصول إليها من الشمال الغربي، حاولوا ذلك سنة ١٤٩٦م-٩٠٢هـــ فلم يفلحوا، ثم أرادوا السفر من الشمال الشرقي غير مرة بين سنة ١٥٥٣م، و١٦٦١م- ١٠٧٢هـــ فأخفقوا، وقد ضحوا في هذا السبيل بغـــير واحـــد مـــن رجالهم، أهل الرحلة والعلم، على أن بعضهم كانوا يســـافرون إلـــى الهند، من طريق رأس الرجاء بعد اكتشافه للتجارة أو نحوهـــا، ولكـــنهم لـــم يجدوا للتملك أو الاحتكار، سبق غيرهم إلى ذلك، فاستنبطوا تدبيراً عاد عليهم بالفائدة العظمى، وهو أنهم ألفوا لذلك شركة تجارية، هي شركة الهند الشرقية.

قيل في سبب إنشائها أن أهل "هولانده" رفعوا أسعار التوابل، التي كـــانوا يحملونها من الهند، ويبيعونها للإنكليز إلى ضعفي ما كانت عليه، فشق ذلك عليهم، فاجتمعوا سنة ١٥٩٩م، برئاسة محافظ المدينة، وقرروا تألـــيف شركة تجارية، تعامل الهند مباشرة، ورفعوا قرارهم إلى ملكتهم "أيلزبـــته" فـــأوفدت إلى سلطان الهند، تستأذن لتلك الشركة في المتاجرة

بــبلاده، فــأذن لها، فأصدرت الملكة أمراً بإنشائها سنة ١٦٠٠م، وكان اسمها يومئذ "شركة تجار لندن، وحاكمهم إلى الهند الشرقية" وكان رأس مالهــا مائــة وخمســة وعشــرين سهماً، قيمتها (٧٢٠,٠٠٠) جنيه، ثم ازدادت، حتى بلغت (٤,٠٠٠,٠٠٠) جنيه، ثم تألفت شركات أخرى لمثل هــذا الغرض، وقام تنازع بينهما قرناً كاملاً، حتى اتحدت سنة ١٧٠٩م، إلى شركة واحدة، سميت "شركة تجار الإنكليز المتحدة للتجارة في الهند الشرقية"، ثم عرفت شركة الهند الشرقية، فأخذ الإنكليز يتجرون أولاً مع جزائر الهند، ولم يدخل الهند نفسها، لأن أهل برتكال وأهل هولنده، كانوا يمنعونهم بقوة السلاح، وجرت في سبيل ذلك حروب كثيرة، وسفكت فيها دمــاء غزيرة، والإنكليز كانوا يترقبون الفرص، حتى تمكنوا من احتلال الــبر، فكان أول بلد نزلوه بلد مدراس، ثم أخذوا يحتلون البلد بعد البلد، باســم الــتجار، فأهالي برتكال وأهل هولانده يتقهقرون بين أيديهم، مما يطــول شــرحه، وكــان الإنكلــيز يقاسون اضطهاداً من سلطان الهند، ومعاكســة من رعاياه، فرأت الشركة المشار إليها أن تحتاط للدفاع عن مركــزها فــي مــثل هذه الأحوال، فابتاعت الأرض، وابتنت القصور والحصــون، فحســدتها الدول الأخرى، فأخذت تقلدها بإنشاء الشركات الــتجارية الشــرقية، وقام النزاع بين هذه الشركات ودولها، وكل دولة تطلــب الاســتئثار بتلك البلاد، واستعمارها لنفسها، فكانت الغلبة أخيراً للشــركة الإنكلــيزية، وانحلت سائر الشركات وضعفت، وأصبح الفوز الأول للإنكليز، ثم تحول هذا الفوز إلى السيادة كما سترى.

كيف تسلط الإنكليز على الهند:

كانت الهند في أثناء تلك المنافسة تحت سلطة الإسلام، وبلغت معظم اتساعها، في أيام عالمكير بن شاهجهان الدهلوي، ثم أخذت بالتقهقر، لأن عالمكير لما توفى لم يخلفه رجل قادر، فتضعضعت مملكته، وأخذت في الإنحلال، وأصبحت كل مملكة من ممالك الهند تطلب الاستقلال لنفسها، واتفق قدوم نادرشاه وأحمد شاه وغيرهما، فاكتسحوا الهند، ولكنهم زادوها ضعفاً، فلم تمض على وفاة عالمكير خمسون سنة، حتى استقل جماعة المرهتة، وهددوا دار الملك دهلي، وخلع "الراجيوت" سيادة الدولة الإسلامية، واقتدى بهم آخرون في بناكله وأوده وغيرهما، وبعض هذه الدول، كانت تحافظ على سيادة سلطان الهند بالاسم، وأما الإنكليز فإنهم تخلصوا من منافسة أهل برتكال في آخر القرن السادس عشر، ومن منافسة أهل "هولانده" في آخرالقرن السابع عشر، ولكنها ظلت تخاف عدواً أشد وطأة من كليهما، وهو فرنسا، وكانت قد نالت حظها من تلك الغنيمة، واحتلت مدناً أقامت فيها شبه حاكم يحافظ على تجارتها، ففي أواسط القرن الثامن عشر، كان نائبها في الهند "دوبليكس" يقيم في "بانديجري"، ونائب الإنكليز و"كلايو" يقيم في مدراس، والنزاع بين الإنكليز والفرنساويين قديم، لكنه تجدد سنة ١٧٤٧م، بأوربا، وامتد إلى الهند، فتحارب "كلابو"، و"دوبليكس" في الهند، وفي أثناء ذلك سنحت للإنكليز حادثة، فاستولوا على بنكاله، وكيفية ذلك أن حكومتها أفضت سنة ١٧٥٦م، إلى سراج الدولة، وكان شاباً، في الثامن عشر من عمره، فغلب عليه الطيش، وأخذته العزة، فطارد رجالاً من أهله إلى كلكتة، وهي معسكر الإنكليز في ذلك العهد، فاكتسح المدينة، ففر الإنكليز، ثم

بعـــد قلـــيل أتـــت نجدة الإنكليز، فأنقذت المدينة، ثم ركب سراج الدولة بعســـاكره من الهنود والفرنساويين، فحاربهم في "بلاسي"، وانهزم منهم لخيانة ختنه جعفر علي خان فقويت سلطة الإنكليز من تلك الساعة، فولوا مكانـــه جعفر علي خان المذكور، وبعد زمان يسير خلعوه، وولوا مكانه قاســم علـــى خـــان، ثـــم بعدمدة خلعوه، وولوا مكانه جعفر على خان المعـــزول، فاســـتغاث قاســـم على خان شاه عالم صاحب الهند، وشجاع الدولة أمير أوده، فاتفقوا على المحاربة ضد الإنكليز، وركبوا بعساكرهم إلـــى بـــنكاله، سنة ١٧٦٤م، وهزمهم الإنكليز هزيمة فاحشة في "بكسر" وقبضوا على شاه عالم، ثم حصلوا منه أسناد تحصيل العشر الخراج في بـــنكاله بها وأريسه، على مال يؤدونه كل سنة، فدخلت بنكاله وغيرها فـــي ســـلطتهم تحـــت حكومة "كلايو" وانفرد الإنكليز بسيادة الهند، باسم الشركة الهندية الشرقية، التي ذكرناها، وهو نوع من الحكومة، لم يسبق له مثيل، وكانت الشركة تولي أمورها حاكماً عسكرياً معه الجند.

وأول أولـــئك الحكـــام، "كلايـــو" ثم "وارن هسنكز"، سنة ١٧٧٢م، فقـــبض على أكثر بلاد الهند صلحاً وعنوة، وحارب حيدر علي صاحب ميســـور سنة ١٧٨٠م، في "كرناتك"، وهزمه، وقبض على بعض بلاده، وأســـس مدرســـة عالـــية بمديـــنة كلكـــته سنة ١٧٨١م، ثم ولي مكانه "كارنوالس" سنة ١٧٨٣م، فحارب السلطان "تيبو" بن حيدر علي المذكور غـــير مرة، ثم ولي مكانه "سيرجانشور" سنة ١٧٩٣م، ثم ولي "مارنكتن" ســـنة ١٧٩٧م، وحارب السلطان "تيبو" سنة ١٧٩٩م، فقتله، وقبض على أكـــثر بـــلاده، وترك بعضها لمرازبة "ميسور" وحارب المرهتة، وقبض على أقطاع دهلي، وآكره، وأريسه.

ودخل في سلطان الإنكليز ما وراء "نهر الكنك" كلها، وبعض بلاد كجرات، وقدم في عهده دعاة المسيحية في الهند، فانتشروا في أقطاعها، ثم ولى مكانه "كارنوالس" مرة ثانية سنة ١٨٠٥م، ومات سنة ١٨٠٧م، فولى مكانه "اللورد منتو"، فحارب الفرنساويين، وأهل هولانده في بعض الجزائر خارج الهند، وهزمهم، ثم ولى مكانه "اللورد مويرا" سنة ١٨١٣ م، فحارب المرتة في "ناكبور"، وبعض بلاد دكن، فهزمهم، وقبض على بلادهم كلها، وفتح قلعة "هاتهرس" وغيرها.

ثم ولى "اللورد أمهرست" سنة ١٨٢٣م، وسيّر عساكره إلى آسام، وأراكان، وغيرهما، فأدخلها تحت سلطته، ثم ولى "وليم بنتنك" سنة ١٨٢٧م، فقبض على "بلاد كور"،وأسس مدرسة عظيمة بكلكته لتعليم الصناعة الطبية، وأعمال اليد، وأسس المدارس الكثيرة في أقطاع الهند، لتعليم العلوم القومية واللغة الإنكليزية، وبذل جهده في نشر العلم، وتحسين المحاكم العدلية.

ثم ولى "اللورد آكلند" سنة ١٨٣٦م، فبعث عساكره إلى أفغانستان، من شجاع الملك ابن تيمور شاه بن أحمد شاه الدراني، فأجلسه على سرير جده، فقبضوا على تلك البلاد، وولوا شجاع الملك المذكور عليها، ولكنه كان لعبة في أيدي الإنكليز، فقام عليه الناس فقتلوا شجاع الملك، والعساكر الإنكليزية كلها، فرجعوا إلى أرض الهند، ولى مكانه "اللورد النبرا" سنة ١٨٤٢م، فسيّر عساكره إلى أرض السند وملكها.

ثم ولى مكانه "اللورد هاردنك" سنة ١٨٤٤م، فحارب طائفة السكم أربع مرات، وهزمهم كل مرة، وأخذ منهم بعض البلاد والقلاع، ثم ولى

مكانـــه "اللـــورد دلهوزي" سنة ١٨٤٨م، فقبض على بلاد بنجاب كلها، وبعث سلطانها "دليب سنكم" إلى لندن، ووظفه، ثم ملك ناكبور وأعمالها، وملك أرض أوده، ووظف واجد علي شاه اللكهنوي، ونقض العهود، وفي عهـده أســس "دبريسيدنسي كالج" بمدينة كلكته، سنة ١٨٥٣م، وأسست المدارس لتعليم البنات، فولى مكانه "اللورد كيننك" سنة ١٨٥٦م.

وفـــي أيامـــه ثارت العساكر الإنكليزية المؤلفة من الهنادك، وأهل الإســـلام، فحدثت الثورة العظيمة سنة ١٨٥٧م، وانقضت سنة ١٨٥٨م، وكانـــت نتيجـــتها أن الهند بعد أن كانت تحت سيطرة الشركة التجارية، دخلت في سلطة إنكلترا، فأعلنت الدولة أن الهند ملك لها.

وولـــى مكانـــه "اللورد ايلجن" سنة ١٨٦٢م، ومات سنة ١٨٦٣م، فولـــى مكانه اللورد لارنس، واستقل بالحكومة إلى سنة ١٨٦٩م، وتولى "اللـــورد نارتم بروك" سنة ١٨٧٢م، وفي أيامه قدم "برنس آف ويلز" ابن ملكـــة "وكتوريا" سنة ١٨٧٥م، فاستقبله بالترحيب والإكرام، وعظمه بما يلـــيق بشـــأنه، ثم ولى "اللوردلتن" سنة ١٨٧٦م، وفي أيامه عقدوا حفلة عظـــيمة بمدينة دهلي، وجلس "لتن" على سرير الملك نيابة عن "فكتوريا" ملكـــة إنكلـــترا، وأعلن أنها قيصرة الهند، وولى مكانه "اللوردرين" سنة ١٨٨٠م، وكان كثير البر بأهل الهند.

ثـــم ولى "اللوردذفرن" سنة ١٨٨٤م، وحارب ملك برهما، فأسره، وقـــبض على بلاده، ثم ولى مكانه "اللورد لينسذون" سنة ١٨٨٨م، وهو رتَّـــب العسكرية على نظام جديد، وجعلها تحت إمرة القائد الكبير، وولى مكانه "اللورد ايلجن ابن ايلجن" المتوفى بالهند سنة ١٨٩٤م، فأقام حدود

الهند، وحارب الأفاغنة بتيراه، وألحق "جترال" بالهند.

ثم ولى مكانه "اللورد كرزن" سنة ١٨٩٩م، وأقام بالهند إلى سنة ١٩٠٥م، وتوفيت في أيامه بالهند الملكة "وكتوريا" ملكة إنكلترا، وقيصرة الهند سنة ١٩٠١م، وتولى المملكة ابنها "ايدورد السابع" ثم ولى "اللورد منتو" حفيد "منتو" المذكور، فيما تقدم، وكان حسن الأخلاق، كثير البر بأهل الهند، ومات في أيامه "أيدورد السابع" ملك إنكلترا، وقيصر الهند، سنة ١٩١٠م، وتولى المملكة مكانه ابنه "جورج الخامس" ولى "اللورد هارذنك" حفيد هارذنك، السالف ذكره، سنة ١٩١٠م، انتقل في عهده مركز الحكومة من كلكته إلى دهلي، حين وفد إليها الملك "جورج الخامس" ملك إنكلترا، وقيصر الهند للتتويج، سنة ١٩١١م، ثم ولى مكانه "اللورد جيمس فورد" سنة ١٩١٦م، ثم إلى مكانه "اللورد ريذنك"[1] سنة ١٩٢١م-١٩١٦م، {وخلفه "اللورد أورن" ١٩٢٦م-١٩٣٦م، وجاء مكانه "اللورد ويلنج دون" ١٩٣١م-١٩٣٦م،وتبعه "اللورد لينلتم جو" ١٩٣٦م-١٩٤٤م، وخلفه "اللورد ويول" ١٩٤٤م- ١٩٤٧م، وجاء مكانه نائب الحكومة الإنجليزية في الهند الأخير "اللورد ماؤنت بيتن" ٢٠ فبرائر ١٩٤٧م- ١٤ أغسطس ١٩٤٧م، وفي أيام نيابته وقع التقسيم، واستقلت الهند، وقامت باكستان، وأصبح الحاكم العام للهند من ١٥ أغسطس ١٩٤٧م- إلى ٢١ يونيو ١٩٤٨م، ثم بدأ الحاكم العام ينتخب من الشعب إلى أن ألغي هذا المنصب، وصار يخلفه رئيس الجمهورية للهند[2]}.

---

(١) وهو الذي لعب دوراً مهماً في إحباط حركة الخلافة وحركة التحرير التي وحدت المسلمين والهنادك وجعلتهم يكافحون الاستعمار جنباً لجنب، وفي إحداث الوحشة وسوء التفاهم بين زعماء الهند؛ وكان إنجليزياً يهودياً –الندوي.

(٢) زيادة أضيفت بعد وفاة المؤلف- الندوي.

الفهرس

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض